للأطفال والناشئة

قصص الحيوان

مسعد حسين محمد

دار العاصمة
الإسكندرية

قصص الحيوان
للأطفال والناشئة

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قصص الحيوان
للأطفال والناشئة

جميع حقوق الطبع
محفوظة للناشر
ولا يجوز نهائيًا نشر
أو اقتباس
أو اختزال
أو نقل أي جزء من
الكتاب دون الحصول
على إذن كتابي
من الناشر

بسم الله الرحمن الرحيم

حقوق الطبع محفوظة

دار الدعوة
للنشر والتوزيع

الطبعة الثانية
١٤٣٦هـ - ٢٠١٥م

رقم الإيداع

دار الدعوة

ت: ٣٩٠١٩١٤ - ٣٩٠٧٩٩٨ /٠٣
العنوان: ٢ شارع منشا - محرم بك - الإسكندرية

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قصص الحيوان للأطفال والناشئة

تأليف

مسعد حسين محمد

دار الدعوة

شبكة الألوكة - قسم الكتب

بسم الله الرحمن الرحيم

www.alukah.net
شبكة الألوكة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مُقَدِّمَة

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين.

وبعد: أبنائي الأعزاء لقد اهتم القرآن العظيم بقصص الحيوان لنأخذ منه الدروس والعبر، حتى سمّى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بعض أسماء السور المباركة بأسماء بعض الحيوانات، مثل سورة البقرة، والأنعام، والفيل، بل ليس ذلك فقط، بل سمّى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بعض أسماء السور بأسماء الطيور والحشرات حتى يأخذ الإنسان الموعظة والدروس والفوائد، كذلك اهتم رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بقصص الحيوان في السنة المطهرة، وقد ذكر عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ في الأحاديث الصحيحة كثيرًا من المواقف العظيمة لمواقف كثيرة حدثت له مع بعض الحيوانات، وذلك فيه كثير من الفوائد العظيمة للإنسان منها التفكر في عظمة الخالق والتعلم من هذه المواقف؛ لأن هناك مواقف كثيرة كانت سببًا في إسلام وهداية كثير من الناس.

وهذا الكتاب «**قصص الحيوان للأطفال والناشئة**» جمعت فيه بفضل الله قصص الحيوان في القرآن الكريم وفي السنة

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

المطهـرة وبعض المواقـف العظيمة من حياة الصحابـة والتابعين مع الحيوانات وكل ذلك بأسـلوب سـهل ومبسط حتى ينتفع به الأبنـاء ويكون عونًا لهم لفهم الحكمة مـن قصص الحيوان. هذا والله أعلى وأعلم وصلى الله على نبينا ورسولنا محمد ﷺ.

كتبه

مُسْعَدْ حُسَيْن مُحَمَّد

عضو اتحاد الكُتّاب المسلمين

ومؤلف برابطة العالم الإسلامي برقم (ج/ ٧٤٥)

محافظة البحيرة - حدائق كفر الدوار

٠١١٢٥٨٠٧٨٨٧ - ٠١٢٢٣٨٤٠٠١٢

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قِصَّةُ

بقرة بني إسرائيل

كان في بني إسرائيل شابٌ فقير ليس لديه مال ولا جاه ولا علم ولا أخلاق، وكان له عم كبير السن، وكان عنده مال كثير، وكانت له ابنة جميلة وطيبة.

وكان هذا الشاب يتمنى موت عمه لكي يرث هذا المال الكثير ويتزوج هذه الفتاة الجميلة.

ولكن عمه عاش زمنًا طويلًا وكان جيد الصحة والعافية، فتعجل هذا الشاب موت عمه من أجل أن يستمتع بهذا المال. فأخذ يدبر جريمة قتل عمه بعد أن وسوس له الشيطان وزين هذا الأمر. وفي يوم من الأيام بعد أن استحوذ الشيطان على عقله ودبر معه جريمة قتل عمه، وانطلق هذا الشاب في ليلة من الليالي وقتل عمه وألقى بجثته أمام بيت أحد أقاربه، وجلس يبكي أمام الباب وكأنه حزين على موته.

فلما مر الناس عليه وجدوه يبكي ويتهم أهل هذا البيت بقتل عمه. فخرج أهل البيت وأنكروا هذا الاتهام، وذهب الناس إلى

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

نبي الله موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ وأخبروهُ بخبر هذا الرجل المقتول لعل أن يجد لهم موسى حلًا. فقام نبي الله موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ وجمع الناس وقال لهم: أسألكم بالله من الذي يعلم من قتل هذا الرجل؟ ... فلم يرد أحد.

فقال رجل لنبي الله موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: يا نبي الله اسأل ربك من قتل هذا الرجل؟

فسأل موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ربه عَزَّوَجَلَّ فأوحي إليه بأن يأمرهم أن يذبحوا بقرة. قال الله تَعَالَىٰ: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا۟ بَقَرَةً﴾ [البَقَرَة: ٦٧].

فتعجب الناس من ذلك وظنوا أنه يستهزئ بهم، فقال موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [البَقَرَة: ٦٧]: أي أعوذ بالله أن آمركم بشيء لم يخبرني الله به.

ولقد كان يكفيهم أن يأتوا بأيّة بقرة فيذبحوها ولكنهم شددوا فشدد الله عليهم.

فسألوا نبي الله موسى عن سنها، فقال لهم تكون متوسطة العمر، ثم سألوه عن لونها؟ فأجابهم بأنها بقرة صفراء شديدة

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الصُفرة، ثم شددوا مرة ثالثة وقالوا: ﴿قَالُواْ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ إِنَّ ٱلْبَقَرَ تَشَٰبَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّآ إِن شَآءَ ٱللَّهُ لَمُهْتَدُونَ﴾ [البَقَرَة: ٧٠]. فأخبرهم بأنها بقرة ليست مُذَلَّلَة أو مُعدَّة للحرث ولا لسقي الأرض سالمة من العيوب، ليس فيها أي لون سوى أنها خالصة الصُّفرة.

فلما حددها لهم بهذه الصفات: ﴿قَالُواْ ٱلْـَٰٔنَ جِئْتَ بِٱلْحَقِّ﴾ [البَقَرَة: ٧١]

فأخذوا يبحثون عن بقرة بهذه الصفات فلم يجدوا إلا بقرة واحدة فقط فيها هذه الصفات، وكانت هذه البقرة لشاب يتيم وفقير. فأرادوا أن يشتروها منه، فساومهم على سعرها حتى باعها لهم بوزنها ذهبًا. فأخذوا البقرة وذبحوها وأخذوا جزءًا منها وضربوا به المقتول، فأحياه الله وتكلم وقال: إن الذي قتلني ابن أخي طمعًا في ثروتي ومالي.

فأُلقى القبض على القاتل وحُرم من الميراث ونال عقوبته بسبب قتل عمه: ﴿كَذَٰلِكَ يُحْيِ ٱللَّهُ ٱلْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [البَقَرَة: ٧٣].

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الدروس المستفادة

- عدم الطمع في مال الناس وحسدهم لما أعطاهم الله من نعمة.
- الحذر من خطوات الشيطان.
- القناعة بما رزقك الله من رزق.
- الكذب يؤدي بالإنسان إلى المهالك.
- المعجزة للأنبياء وليس لغيرهم لتكون دليلًا على رسالتهم.
- أن بني إسرائيل آذوا موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ كثيرًا وأتعبوه في دعوتهم بكثرة جدالهم وسؤالهم واعتراضهم.
- هذه الواقعة تدل على قدرة الله تَعَالَىٰ الذي أحيا هذا القتيل فهو سُبْحَانَهُ قادر على إحياء الموتى يوم القيامة.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قِصَّةُ

حمار العُزير

عاش اليهود بعد موت موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ في فساد عظيم حتى بعث الله إليهم كثيرًا من الأنبياء والرسل، كلما مات نبي أرسل الله إليهم نبيًّا آخر، فما كان منهم إلا أن قتلوا الأنبياء وعبدوا الأصنام وكذبوا وبدلوا وحرفوا وفسدوا فسادًا عظيمًا.

فبعث الله عَزَّوَجَلَّ عليهم مَلِكًا من ملوك الفُرس وهو «بختنصر» قتل آلافًا من بني إسرائيل، واتخذ منهم عبيدًا وخدمًا وانتشر الفساد على أيدي بختنصر وجنوده حتى وصل الفساد والدمار إلى بيت المقدس، من هدم للمنازل وقتل للأبرياء حتى امتلأت الشوارع بالجثث من قتلى بني إسرائيل.

وكان في هذا الزمان رجل صالح اسمه «عُزير» نشأ على التقوى والعبادة وحسن الصلة بالله تَعَالَىٰ. واشتهر في بني إسرائيل بالصلاح والعلم وحسن السمعة والعبادة لله عَزَّوَجَلَّ.

وكان والده من كبار الأحبار والعلماء، وكان عزير قد تعلم العلم على يديه وتتلمذ ودرس أول معارفه وعلومه منه. وفي يوم

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

من الأيام ركب العُزير حماره وخرج من البلد التي يسكنها إلى بلدٍ قريبة يكثر فيها بساتين الفاكهة والمزارع وعيون المياه الجارية، فجعل ينظر إلى هذه البساتين. وهذه الأشجار الجميلة وهذا الماء العذب الجميل.

وبينما هو في الطريق أصابه الحر الشديد فوجد أرضًا خربةً من خرائب وأطلال بيت المقدس، فدخل فيها ليستظل بظل أحد جُدرانها.

فنزل من على حماره وكان معه سَلَّةٌ فيها تين، وسَلَّةٌ فيه عنب. فأخرج قصعة كانت معه واعتصر فيها من العنب الذي كان معه، ثم أخرج خبزًا فألقاه في القصعة ليبتلَّ ليأكله ثم أسند ظهره إلى الحائط وأخذ ينظر إلى سقف البيوت الخربة وهي خاوية على عروشها وقد هلك أهلها ولم يبق منهم أحدٌ .. ورأى عظامًا بالية فتعجب وقال: كيف يُحيى الله هذه القرية بعد موتها.

وعزير لم يقل هذا الكلام وهو يشك في قدرة الله ولكنه تعجب من شدة الخراب الذي حدث لتلك القرية.

بعد أن رأى الدمار الذي حوله، فالبيوت محطمة مهدمة والسكان هجروها. إلا أن الله أراد أن يُريه كيف يُحيى الموتى؟

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وكيف تعود الحياة مرة أخرى فأرسل الله إليه ملك الموت في نفس اللحظة وقبض روحه وأماته الله مائة عام.

وفي هذه الفترة حدثت أشياء كثيرة ... فلقد مات أُناس وخُلِق أُناس وتغيرت قريته والقرى المجاورة، بل تغيرت معالم الكون كله.

وعادت الحياة إلى بيت المقدس مرة ثانية بعد أن رفع الله عنهم العذاب والظلم ومات الحاكم الظالم بختنصر، وحكم من بعده حكام عادلون صالحون.

ولكن هناك شيء مهم غادر قلوب بني إسرائيل وهو الإيمان حتى أنهم نسوا التوارة وما فيها من أوامر ونواهٍ ونصائح.

وبعد مرور مائة عام أرسل الله إلى عُزير مَلَكًا ليردَّ إليه الروح مرة أخرى.

فقد أماته الله مائة عام وهو لا يدري أنه مات مائة عام بل إنه ظنَّ أنه كان نائمًا ... ولذلك لما استوى جالسًا سأله المَلَك: كم لبثت؟

قال: لبثت يومًا أو بعض يوم .. وذلك لأنه نام في أول النهار عند الظهيرة وبُعث في آخر النهار والشمس أوشكت على الغروب،

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

فظن أنه نام لمدة خمس ساعات أو أقل من ذلك وإذا بالملك يخبره بالمفاجأة التي كاد أن لا يصدقها. قال له الملك: بل أنت مِتَّ مائة عام .. وإذا أردت أن تتأكد من هذا الكلام فانظر إلى طعامك وشرابك الذي كان معك، فإنه لم يتغير رغم مرور سنين طويلة عليه وهي مائة عام.

وما زال العزير يظن أنه كان نائمًا، ولذلك لم يتغير طعامه وشرابه فهو حتى هذه اللحظة لا يصدق أنه مات مائة عام.

ثم قال الملك: إن كنت لا تصدق فانظر إلى حمارك كيف يُحييه الله، فنظر العزير إلى حماره، فوجده ميتًا وقد ذهب لحمه وما بقيت إلا قليل من العظام البالية، وإذا بالملك ينادي على عظام الحمار، فجاءت من كل ناحية حتى أخذ الملك يركبها على بعضها ... وعزير ينظر إليه في عجب فبعد أن ركبت العظام على بعضها، كُسيت باللحم، ونبت عليها الجلد والشعر، ثم نفخ فيه، فقام الحمار وبدأ يتحرك، فلما رأى العزير عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ هذه المعجزات قال: أعلم أن الله على كل شيء قدير.

وبعد هذا الموقف ركب العزير حماره وعاد مسرعًا إلى قريته وهو لا يدري ما الذي حدث فيها خلال المائة عام التي مضت

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

فلما وصل العُزير إلى قريته لم يعرفه أحدٌ من الناس ولم يعرف هو أحدًا من الناس، حتى شوارع قريته لم يعرفها، لقد تغير كل شيء.

فأخذ يبحث عن بيته حتى عرفه وطرق الباب وهو ينتظر أن يخرج إليه ابنه الذي تركه منذ مائة عام وكان عمر ابن العزير حين تركه عشرين سنة ، وكان عمر العزير وقتها أربعين سنة .. و كان لعزير أَمَة وكان وقت تركها عمرها عشرين سنة.

فطرق العزير الباب فخرجت إليه امرأة كبيرة السِّنِّ قد بلغ عمرها مائة سنة، فقال لها: أنا عُزير فقالت: إن عزيرًا خرج منذ زمن بعيد ولم يعد، فقال لها: أنا عزير وقد حدث معي كذا وكذا وحكى لها قصته. فقالت: فادعُ الله أن يرد عليَّ بصري حتى أراك، فإن كنت عُزيرًا عرفتُكَ.

فدعا ربه، ومسح بيده على عينيها ففَتَحهُما، وأخذ بيدها وقال: قُومي بإذن الله، فأطلق الله رجلها، فقامت صحيحة فنظرت إليه، فقالت: أشهد أنك عُزير.

فانطلقت معه إلى المجلس الذي يجتمع فيه أهل القرية ... فإذا بعُزير يرى ابنه الذي كان قد تركه منذ مائة عام وهو ابن العشرين

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

... يراه الآن وقد بلغ من العمر مائة وعشرين سنة ... وعُزير ما زال في سنِّ الأربعين فأصبح ابنهُ أكبر منه بثمانين سنة!!!

فقالت لهم هذه المرأة: هذا عُزير قد جاءكم.

فكذبها الناس وقالوا: كيف ذلك وقد حدثنا آباؤنا أن عُزيرًا قد مات منذ مائة سنة بأرض بابل.

فقالت أنا مولاتكم فلانة، دعا العزير ربه لي فرد الله علي بصري وأطلق رجلي، وقال لي إن الله قد أماته مائة سنة، ثم بعثه فقام الناس، فأقبلوا إليه، فنظر إليه ابنه، وقال: كانت لأبي شامةٌ سوداء بين كتفيه، فكشف عن كتفيه، فإذا هو عُزير! ففرح الناس من بني إسرائيل فرحًا شديدًا؛ لأن عُزيرًا كان يحفظ التوراة، وعندما غاب مائة سنة عنهم، قام «بختنصر» بتحريف التوراة، فلم يبق منها أي شيء إلا ما يحفظه بعض الرجال.

فقام العزير ومعه رجال كثيرون ووصلوا إلى المكان الذي دفنت فيه التوراة وأخرجوها، وأعاد العُزير كتابة التوراة وعاش مع قومه في خير وسعادة ودعوة إلى الله حتى مات ورحل عن هذه الدنيا.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الدروس المستفادة من القصة

- أن الله على كل شيء قدير فهو الذي يحيى ويميت ويرزق ويملك هذا الكون كله.
- وفي هذه القصة دليل على البعث يوم القيامة.
- وأن الله ينصر الحق مهما طالت الأعوام.
- وأن مصير الظالمين الهلاك مهما طال الوقت.
- وفي قصة العزير دليل على المعجزة فقد رجع البصر للمرأة بقدرة الله تَعَالَىٰ.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قِصَّةُ

القردة «أصحاب السبت»

وهـا هي قصة من قصص بنـي إسرائيل العجيبة .. وهي قصة أصحـاب السـبت الذيـن مسـخهم الله إلى قردة بسـبب معصيتهم ومُـخالفتهم لأمر الله جَلَّوَعَلَا.

قال تَعَالَى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱذْكُرُوا۟ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ ثُمَّ تَوَلَّيْتُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ ۖ فَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَكُنتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٤﴾ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعْتَدَوْا۟ مِنكُمْ فِى ٱلسَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ﴾ [البَقَرَة: ٦٣ - ٦٥].

كان مـن تعاليـم نبـي الله موسـى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ أن يتفـرغ قومـه بنـو إسرائيـل عن أعمالهم يومًا من كل أسـبوع فـلا يعملون فيه أي عمـل من أعـمال الدنيا بل يُفرغون أنفسـهم لعبـادة الله جَلَّوَعَلَا ... وكان ذلك اليوم هو يوم السبت.

ومـرت الأيـام .. ومـا زال بنو إسرائيل على عادتهم يقدسـون يوم السـبت ويتفرغـون فيه لعبـادة الله جَلَّوَعَلَا .... ومـرَّت أجيال وراء أجيال وما زالوا جميعًا يقدسون يوم السبت بالعبادة والتقرُّب إلى الله جَلَّوَعَلَا.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وفي قرية من قراهم على شاطئ البحر الأحمر يُقال لها أَيْلَة كان يسكن قوم من سلالة بني إسرائيل في زمن داود عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، وكان عليهم أن يلتزموا سُنَّة آبائهم و أجدادهم، فيسيروا على عبادة الله في يوم السبت، فكانوا لا يزاولون فيه عملًا من أعمال دنياهم من صيدٍ، أو متاجرة، أو صناعة.

وكانوا يعيشون على صيد الأسماك والحيتان ...

فكانت الأسماك والحيتان تغيب طوال الأسبوع ولا تظهر إلا في يوم السبت الذي حرَّم الله فيه الصيد على بني إسرائيل .. وكان ذلك فتنة لهم وامتحانًا من الله لصبرهم وإيمانهم.

لكن أكثرهم فشلوا في هذا الاختبار وخالفوا أمر الله جَلَّ وَعَلَا.

فلقد وسوس الشيطان في نفوس طائفة من أهل القرية، وزين لهم اصطياد الأسماك.

ولكن كيف يتحايلون على أمر الله؟

هداهم شيطانهم إلى حيلة شيطانية ماكرة.

وأرشدهم إلى طريقة اصطادوا بها الأسماك يوم السبت!

لقد احتالوا على اصطيادها في يوم السبت بأن نصبوا الحبال والشِّباك وحفروا الحُفر التي يجري معها الماء إلى مصائد قد أعدُّوها

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

إذا دخلها السمك، لا يستطيع أن يخرج منها ... ففعلوا ذلك في يوم الجمعة فإذا جاءت الحيتان مسترسلة يوم السبت، عُلِّقت بهذه المصايد فإذا خرج يوم السبت وجاء يوم الأحد أخذوها.

لقد أقبلوا على الصيد، فاصطادوا كثيرًا بلا تعب ولا عناء.

ثم صنعوا به ما شاؤوا، وما اشتهوا من مطبوخ ومشويّ، وأقبلوا يُشبعون نهمهم، ويملؤُونَ بطونهم.

عَلِمَ المتقون منهم بما فعل هؤلاء الفُسَّاق المستهترون؛ فخرجوا إليهم ووعظوهم، وحذَّروهم، فما زادهم ذلك إلا استهتارًا وإمعانًا في غيِّهم، وانسياقًا في ضلالهم ... فثارت ثائرة المؤمنين، وحاصروا القرية بسلاحهم، يمنعون هؤلاء المارقين من دخولها؛ لأنهم خارجون عن طاعة الله آثمون فاسقون.

اشتد ذلك على الفُسَّاق، وشقَّ عليهم أن يمتنعوا عن الصيد في يوم السبت؛ مع كثرة الحيتان فيه، دون غيره من الأيام، فقالوا للمؤمنين منهم: إن القرية لنا ولكم، ولا حَقَّ لكم في دفعنا عنها، والانفراد بها دوننا، ولا أحد يُلزمنا بتركها لكم، إنها موطننا، وموئلنا، ومحطُّ رزقنا، لا سبيل إلى تركها، ولا مفرَّ لنا إلى غيرها،

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

فإنْ صممتم على رأيكم، فلتُقاسمونا القرية، ولْنَبْنِ حيطانًا بيننا وبينكم؛ حتى يعيش كُلٌّ منَّا على ما يشتهي وكما يريد.

ارتضى المؤمنون أن يقاسموهم القرية، وأن يقيموا سدًّا يحجبُ عنهم هؤلاء العُصاة المخالفين لأمر الله جَلَّوَعَلَا.

انفردت كل طائفة، وشُغل الفساق بلهوهم وصيدهم، وحفروا نُهَيْرات تصل البحر بقريتهم، فإذا كانت ليلة السبت سارت الحيتان فيها إلى أبواب دُورهم، فإذا غربت شمس السبت، وهمَّت الحيتان بالرجوع حجزوها بسدود أقاموها تعترض مجرى النُّهَيْرات؛ فلا تملك الحيتان أن تتسرب إلى البحر.

استمر هؤلاء الفُساق في لهوهم ومخالفتهم لأمر الله جَلَّوَعَلَا وكثرت أموالهم وجهروا بمعصيتهم دون خوفٍ أو إحساس بالذنب.

وانقسم أهل القرية إزاء تصرُّف الفريق المعتدي إلى فريقين: الفريق الأول: هم الصالحون الدُّعاة، قاموا بواجبهم في الدعوة، وأنكروا على المتحايلين على أوامر الله تحايلهم وعدوانهم وصيدهم يوم السبت.

الفريق الثاني: هم الساكتون، سكتوا على عُدوان المعتدين.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وتوجهوا باللوم والإنكار على الصالحين الدُّعاة، بحجة أنه لا فائدة من نُصح ووعظ قوم هالكين مُعذَّبين.

أجاب المصلحون على اللائمين الساكتين، بأنهم يهدفون من الإنكار إلى: الإعذار أمام الله وأداء الواجب، ثم لعلَّ القوم المعتدين يتقون.

فلما ازداد إصرار هؤلاء الفاسقين على مخالفتهم لأمر الله جَلَّ وَعَلَا، قام فريق من أهل القرية ينهون المعتدين عن السوء والعدوان.

وقالوا لهم: لا نبيت معكم الليلة في القرية.

فخرجوا منها، وباتوا على مشارفها.

وفي الصباح: نظروا إلى أهل القرية المعتدين والساكتين، فلم يخرج منهم أحد، ولم يُفتح لهم بيت، فتعجبوا. وبعثوا رجلًا منهم يستطلع الخبر، فنظر في دار فإذا أهلها قردة، ونظر في دار أخرى فإذا جميع أهلها قردة. وهكذا باقي البيوت!

فرجع إلى جماعته فأخبرهم، فجاؤوا وفتحوا الأبواب، وإذا جميع أهلها قردة! فجعل الرجل منهم يومئ إلى القرد: أأنت فلان؟ فيومئ القرد برأسه: أن نعم وهو يبكي.

فقالوا لهم: لقد حذرناكم!

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وفتحوا الأبواب، فخرجوا وانطلقوا إلى البرية وماتوا.

وهكذا تكون دائمًا النهاية المؤلمة لكل من خالف أمر الله جَلَّ وَعَلَا.

بين ابتلاء اليهود وابتلاء المسلمين

رأينا من ابتلاء الله لليهود كيف أنَّ فريقًا منهم تحايلوا وارتكبوا المحظور. وأنَّ فريقًا منهم سكتوا عن النُّصح والإنكار.

معظم اليهود - قبل الإسلام - لا ينجحون في الامتحان ولا يثبتون في الابتلاء.

أما المسلمون: فإنهم يلتزمون بأوامر الله، وينجحون في الابتلاء.

١ - ابتلاهم الله بالتحوُّل عن بيت المقدس إلى المسجد الحرام في الصلاة، وجعَلَ القبلة الجديدة هي الكعبة. وبيَّن القرآن حكمة هذا التحويل بقوله: ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ۚ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَـٰنَكُمْ﴾ [البَقَرَة: ١٤٣].

ونجح المؤمنون في الابتلاء، ونفذوا التكليف الربَّاني بالتزامٍ فوري دقيق.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

٢- وفي موضوع الحج والصيد الإحرام نهى الله المسلمين عن الصيد في الحرم وهم مُحرمون، وبيَّن لهم الحكمة من هذا التكليف. قال تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَيَبۡلُوَنَّكُمُ ٱللَّهُ بِشَيۡءٖ مِّنَ ٱلصَّيۡدِ تَنَالُهُۥٓ أَيۡدِيكُمۡ وَرِمَاحُكُمۡ لِيَعۡلَمَ ٱللَّهُ مَن يَخَافُهُۥ بِٱلۡغَيۡبِۚ فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾ [المَائِدَة: ٩٤]

لا يجوز للمسلمين وهم مُحرمون بالحج أو العمرة أن يصطادوا، ولو كان هذا الصيد قريبًا جدًّا منهم، تناله أيديهم ورماحهم.

ابتلى الله اليهود بمنعهم من الصيد يوم السبت، فتحايلوا على الأمر وارتكبوا المحظور! وابتلى الله المؤمنين بمنعهم من صيد البر وهم مُحرِمون بالحجِّ أو العمرة ﴿وَحُرِّمَ عَلَيۡكُمۡ صَيۡدُ ٱلۡبَرِّ مَا دُمۡتُمۡ حُرُمٗا﴾ [المَائِدَة: ٩٦].

شتَّان ما بين الموقفين: تحايُل اليهود، والتزام المؤمنين:

الإغراء بالمخالفة قائم في الحالتين:

فعند اليهود: ﴿تَأۡتِيهِمۡ حِيتَانُهُمۡ يَوۡمَ سَبۡتِهِمۡ شُرَّعٗا وَيَوۡمَ لَا يَسۡبِتُونَ لَا تَأۡتِيهِمۡ﴾ [الأَعْرَاف: ١٦٣].

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وعند المسلمين، الصيد قريب جدًّا منهم وفي متناول أيديهم ورماحهم: ﴿بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلصَّيْدِ تَنَالُهُۥٓ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ﴾ [المائدة: ٩٤].

لكن سقط اليهود في الامتحان، بينما نجح فيه المسلمون!

السبب في سقوط اليهود هو فسقهم وتمرُّدهم على أوامر الله: ﴿كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ﴾ [الأعراف: ١٦٣].

والسبب في نجاح المؤمنين هو أنهم يخافون الله بالغيب ﴿لِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَخَافُهُۥ بِٱلْغَيْبِ﴾ [المائدة: ٩٤].

نجاة الدُّعاة

قال تَعَالَى: ﴿فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦٓ أَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ﴾ [الأعراف: ١٦٥]

لـمَّا حلَّ عذاب الله بأهل القرية، أنجى الله الذين ينهون عن السوء، وهم فريق الدعاة الناصحين الـمُصلحين.

وهذا يوحي لنا بوجوب الدعوة إلى الله، ونُصح الأمة وتذكيرها. فالقيام بهذا الواجب هو وحده طريق نجاة الدعاة من العذاب عندما يحل بالعصاة.

ويُصدِّق هذا قول الله تَعَالَى: ﴿فَلَوْلَا كَانَ مِنَ ٱلْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُو۟لُوا۟ بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْفَسَادِ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ ۗ وَٱتَّبَعَ

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مَآ أُتْرِفُوا۟ فِيهِ وَكَانُوا۟ مُجْرِمِينَ ﴿١١٦﴾ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ﴾ [هود: ١١٦ - ١١٧].

عندما تَعُمُّ المعاصي والمنكرات في الأمة، يجب على الدُّعاة أن يقوموا بواجب النُّصح والتذكير، والنهي عن المُنكر والفساد لينجوا من عذاب الله، فهو وحده سبيل النجاة والفوز.

لماذا مُسِخ المعتدون قردة؟

قال تَعَالَى: ﴿فَلَمَّا عَتَوْا عَن مَّا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ﴾ [الأعراف: ١٦٦]

ظلم المعتدون أنفسهم، وعتوا عن ما نُهوا عنه، وتمردوا على دين الله، ورفضوا الالتزام بشرعه، وطغوا وبغوا، ولَجُّوا في طغيانهم، واستمروا في عدوانهم.

وهم بذلك قد استحقوا عذاب الله، واستقدموا نقمته، واستعجلوا عقوبته.

لقد حقَّت عليهم سنة الله، ووقع بهم عذابه، وكان عذاب الله لأولئك المعتدين شديدًا أليمًا بئيسًا ﴿وَأَخَذْنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ بِعَذَابٍۭ بَـِٔيسٍۭ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ﴾ [الأعراف: ١٦٥]. كما كان عذاب الله لهم

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

فريدًا متميزًا، حيث مسخهم قردة خاسئين، وحوَّلهم من صورتهم البشرية إلى صورة حيوانية حقيقية، فصاروا قردة حقيقيين.

إن الله عادل عندما مسخهم قردة أذلَّاء صاغرين؛ لأنهم اعتدوا على أحكام الله. وتمرَّدوا على أوامره ... ومن العدالة الربَّانية أن يجزي المحسن بإحسانه، وأن يجازي المسيء بإساءته، ويعاقب المعتدي بعدوانه.

وإن الله حكيم بمسخهم قردة!

ولعلَّ الحكمة من هذا المسخ، هي: أن الله يريد لهم أن يكونوا بشرًا آدميين، وأن يعيشوا أُناسًا حقيقيين، وأن يمارسوا إنسانيتهم على أحسن ما تكون. ولكنهم عندما تمردوا على أحكام الله، رفضوا هذا التكريم الرباني، وبذلك تنازلوا عن إنسانيتهم وكرامتهم، فصاروا إلى الصورة الحيوانية المعنوية، فمسخهم الله قردة، وحوَّلهم إلى حيوانات حقيقية. وهذا من باب التناسق والتنسيق بين الصورة المعنوية والصورة الحسية!

إن الله يريد للبشر أن يكونوا بشرًا مُكرَّمين، وأن يعيشوا إنسانيتهم وآدميتهم، وأن يتميزوا على الحيوانات والبهائم. فكلَّفهم بالتكاليف الشرعية، وطلب منهم الالتزام بأمانة التكليف

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ [الأحزاب: ٧٢].

أمَّا الاعتداء على شريعة الله، والتمرُّد على أحكامه، فإنه طمسٌ للمعاني الإنسانية عنده وقضاء عليها. وفي هذا يتراجع الإنسان إلى مرحلةٍ دُنيا لا تليق به، وينحطّ عن المنزلة السامية التي طالبه الله أن يرتفع إليها ... إلى المنزلة الحيوانية الهابطة التي لا تليق به.

فإذا ما وجدنا إنسانًا معتديا ظالمًا فاسقًا، فإنه متنازل عن المعاني الإنسانية إلى المعاني الحيوانية. ويكون هذا الإنسان حيواني النفس والشعور والأخلاق، وإن كان بشري الملامح والسمات والمظاهر!

لقد كان المعتدون المتمردون من أصحاب القرية، قردة من الناحية المعنوية والشعورية، كانوا قردة بنفوسهم وتصوراتهم وأخلاقهم، وليس لهم من البشرية إلا الملامح الخارجية في الأجساد والحواس والأصوات!

فجاء مسخ الله لهم قردة تنسيقًا بين الحقيقة والصورة! - والله أعلم -[1].

(١) قصص السابقين (٢٤٦ - ٢٤٩) بتصرف.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الدروس المستفادة

- أن المسلم لا ينبغي أن ينشغل دائمًا بالسعي وراء الدنيا وشهواتها بل يجب عليه أن يُفرغ وقتًا للعبادة حتى يبارك الله له في رزقه وأولاده وحتى يفوز في الدنيا والآخرة.

- أن العبد لابد أن يمتثل أمر الله جَلَّوَعَلَا بالسمع والطاعة ولا يتحايل أبدًا من أجل أن يهرب من تنفيذ أوامره.

- أن الله يُملي للعبد إذا عصاه وخالف أمره ... ويعطيه فرصة وثانية حتى إذا استمر العبد في مخالفته أخذه الله أخذ عزيزٍ مقتدر.

- أن الله على كل شيء قدير .. فقد رأينا كيف أن هؤلاء القوم الذين خالفوا أمر الله وتحايلوا عليه .. جعلهم الله قردة خاسئين.

- أن مَن زعم أن الإنسان أصله قرد فهو كاذب وذلك لأن الله لم يجعل لأي أُمّة ممسوخة نسلًا ... ولكن الصحيح أن أصل الإنسان هو أبو البشر آدم عَلَيْهِٱلسَّلَامُ.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قِصَّةُ

كبش إسماعيل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ

لما بعث الله عَزَّوَجَلَّ خليله إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ليدعو الناس إلى الإسلام والإيمان والحنيفية السمحة لم يؤمن معه سوى زوجته سارة وابن أخيه لوط عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ... ومع ذلك ظل إبراهيم يدعو الناس من حوله ولم يَفتُر لحظة واحدة عن واجب الدعوة إلى الله وصبر على الأذى والابتلاء .. وعندما تأكد من إعراض قومه عن دعوته هاجر من بلاد بابل بالعراق إلى بلاد الشام، وظل يدعو الناس من حوله إلى الإيمان والتوحيد.

هجرته عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ إلى أرض مصر

لقد استمر إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ في دعوته المباركة .. فلما وجد قلوب القوم مُغلَقة لا تستقبل الخير ولا تريد أن تُقبل على الله جَلَّوَعَلَا قرر إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ الهجرة إلى أرض مصر لعله يجد قلوبًا تستجيب لدعوته وترجع إلى الخالق جَلَّوَعَلَا.

خرج إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ومعه زوجته سارة وكانت من أجمل نساء الأرض فلما وصلا إلى مصر وصلت الأخبار إلى ملك مصر أن رجلًا وصل إلى مصر ومعه امرأة هي أجمل نساء أهل الأرض

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

فطمع الملك أن يفوز بها لنفسه وكان هذا الملك الظالم قد وضع قانونًا لنفسه وهو أنه يجوز له أن يأخذ المرأة من زوجها ويقتل زوجها ولكن لا يجوز له أن يأخذ المرأة من أخيها أو أبيها.

فجاء الوحي إلى إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ يخبره بذلك .. فقال لسارة: إن سألك الملك فقولي له أنك أختي فما على هذه الأرض مؤمن غيري وغيرك.

وأرسل الملك جنوده ليأتوا إليه بسارة وأمرهم أن يسألوا إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ عنها فإن كان زوجها فاقتلوه .. فلما سألوا إبراهيم قال لهم: إنها أختي ... وكان يقصد بذلك أنها أخته في الإسلام لأنه لم يكن هناك أزواج على الإسلام في الأرض كلها إلا إبراهيم وسارة.

لما عرفت السيدة سارة أن ملك مصر فاجر ويريدها له أخذت تدعو الله قائلة: اللهم إن كنت تعلم أني آمنت بك وبرسولك وأحصنت فَرْجِي إلا على زوجي فلا تُسلِّط عليَّ الكافر.

فلما أدخلها الجنود عليه وانصرفوا قام هذا الملك الظالم يريد أن يلمسها فأُصيبت يده بالشلل وتجمدت في مكانها فأخذ يصرخ

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وسمع الجنود صوت صُراخه وجاءوا ليُنقذوه لكنهم لم يستطيعوا أن يفعلوا أي شيء.

هنا خافت سارة من الجنود أن يقتلوها بسبب ما فعلته بالملك فقالت: يا رب أَذهب عنه الشلل حتى لا يقتلوني بسببه .. فاستجاب الله لدعائها.

لكن مع ذلك لم يَتُب هذا الملك الظالم ويَعتبر بما حدث له فقام وهجم عليها مرة أخرى فأُصيبت يده بالشلل .. فقال لها الملك: فُكِّيني ولن أقترب منك .. فدعت له ففكَّه الله جَلَّ وَعَلَا.

ولكن الملك عاد للمرة الثالثة فأُصيبت يده بالشلل فقال لها الملك فُكِّيني وسوف أُطلق سراحك وأكرمك.

فدعت الله عَزَّوَجَلَّ ففكَّه.

فصرخ الملك في جنوده وأعوانه وقال لهم: أبعدوها عني فإنكم لم تأتوني بإنسانٍ بل أتيتموني بشيطان.

فأطلقها وأعطاها أَمة اسمها هاجر .. فعادت سارة إلى زوجها إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ سالمة غانمة.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

العودة إلى أرض فلسطين

وعاد إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ وزوجه سارة - ومعهما هاجر - إلى أرض فلسطين واستقروا جميعًا في بيت المقدس .. تلك الأرض التي بارك الله حولها.

لقد استقر إبراهيم - كما أسلفنا - في أرض فلسطين واشتاق بعد هذا العمر الطويل إلى أن يرزقه الله ولدًا صالحًا.

عاد إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ من مصر إلى فلسطين، وعادت معه سارة في صحبتها هاجر المصرية تخدمها، وتخدم زوجها خليل الرحمن.

كانت سارة تنظر إلى نفسها وإلى زوجها نظرة إشفاق .. كانت تُحدث نفسها قائلة: ليت لنا ولدًا تقرُّ به أعيننا.

وكانت سارة لا تَلِد، فلما رأت سارة ذلك أحبَّت أن تعرض هاجر على إبراهيم، فكان يمنعها غيرتها.

ويبدو أن سارة في لحظة من لحظات الصفاء الروحي آثرت زوجها على نفسها، وتَمنَّت أن يكون له ولد، فهي تدرك أنها عاقر لا تنجب .. تلك مشيئة الله، إنه علىٌّ حكيم..

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وفي سُبُحات روحية تذكرت هاجَر .. تلك المرأة المصرية التي تعيش معهما، وقد آمنت بدعوة إبراهيم، وأسلمت وجهها لله فاطر السموات والأرض.

وفي لحظة صفاءٍ إيماني، قالت سارة لإبراهيم وقد شرح الله صدرها لتلك الفكرة: يا خليل الرحمن، هذه هاجر، أهبها لك عسى أن يرزقنا الله منها ذرية.

ولادة إسماعيل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ

تذكَّر إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ما وعده ربه أن يَهَب له ذرية طيبة، وكان وعد الله مأتيًّا..

وافق إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ على الزواج من هاجر .. وتحقق الوعد الإلهي الحق .. وحملت هاجر..

اقترب موعد ولادتها .. فولدت غلامًا سويًّا زكيًّا .. أسموه إسماعيل.

وهنا تحركت الغيرة في قلب سارة وظنَّت أن هاجر وابنها إسماعيل سيحتلان المكانة الكبرى في قلب خليل الله إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ.. وأنها ستفقد مكانتها في قلبه عاجلًا أو آجلًا ...

شبكة الألوكة - قسم الكتب

فـما كان منهـا إلا أن طلبـت مـن إبراهيـم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ أن يأخذ هاجر وابنها إسماعيل إلى مكانٍ بعيد.

أوحـي الله عَزَّوَجَلَّ إلى إبراهيـم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ أن خُـذ هاجـر وابنهـا إسـماعيل، واخرج إلى الأرض المباركة ... تلك البقعة التي أراد الله أن يبارك فيها للعالمين «مكة»، أم القرى..

أمره الله تَعَالَىٰ أن ينقلها إلى مكة، وأُتي بالبُراق، فركب عليه هو وهاجر والطفل.

نـزل خليل الرحمن وهاجر وإسـماعيل بوادٍ غـير ذي زرع، ... لا ماء ولا شجر، ولا ظل ولا حياة.

نظـر إبراهيـم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ إلى زوجه هاجـر وابنه إسـماعيل نظرة فيهـا معـاني الرأفة كلها .. ولكنه راجع من حيث أتي ... إنه أمر الله فلا رادَّ لـحُكمه.

ثم رجع إبراهيم إلى أهله، فاتبعته أم إسماعيل ونادته من ورائه: يا إبراهيم إلى مَن تتركنا؟

قال: إلى الله.

قالت: رضيت بالله.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وهكـذا كان قلبها قد امتلأ ثقة ويقينًـا وتوكُّلًا على الله عَزَّوَجَلَّ. فهي تعلم أن الله لا يُضيع مَن استجاب لأمره وعاش على طاعته.

دعوة مباركة

فانطلق إبراهيم حتى إذا كان عند الثنية حيث لا يرونه استقبل بوجهـه البيـت ثـم دعا بهـؤلاء الكلمات ورفـع يديه فقـال: ﴿رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ وَٱرۡزُقۡهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَشۡكُرُونَ﴾ [إبراهيم: ٣٧].

امتثال لقضاء الله جَلَّوَعَلَا

لقـد امتثلت هاجر للقضاء المحتـوم، وتحلَّت بالصبر الجميل، ومكثت تأكل من الزاد، وتشرب من الماء، حتى نفدا؛ فخوى بطنها، واحتملت ذلك صابرة، ولم تَلبَث أن جفَّ ثديها، وأصبحت لا تجد لبنًا تُرضعه الطفل.

حاولت أن تجد لها من مأزقها مَـخرجًا، فتركته مكانه، وسارت هائمـة عـلى وجهها، تعـدو وتُهرول، وقـد أحزنها بـكاؤه ونحيبه، وأخذت تبحث عن الماء، وتُفتش له عن غذاء.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وجدت الصفا أقرب مرتفع من الأرض إليها، والمرء عندما يريد أن يستكشف ما حوله، يرقى على مرتفعٍ عالٍ، ليرى أكبر مساحة يمكنه البحث فيها والنظر إليها.

رَقَت الصفا ونظرت بإمعان، فلم تجد أحدًا، فانحدرت إلى الوادي مُيممة وجهها نحو الجبل الآخر القريب، وهو المروة فصعدت عليه، ونظرت كما نظرت من الصفا فلم تجد من ينجدها، ولا من يُغيثها، وهكذا بقيت تتردد بين الصفا والمروة حتى أتمَّت سبعًا، وكانت في أثناء ترددها بينهما تمر بطفلها تطمئن عليه، وتستطلع أحواله، ثم تعود لتتابع التردُّد والنظر، وكان هذا السعي أول سعي بين الصفا والمروة، وقد أصبح هذا السعي الذي ابتدأته هاجر مَعلمًا من معالم الحج والعمرة: ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ ۖ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾ [البَقَرَة: ١٥٨].

عادت هاجر بعد المرة السابعة وهي مُجهَدة مُتعَبة تلهث، وجلست بجوار ابنها الذي كان صوته قد بُحَّ من البكاء والعطش، أصابها الإعياء من الجهد، وأصاب ولدها مثله من البكاء.

وهنا... وفي هذه اللحظة اليائسة أدركتها رحمة الله عَزَّوَجَلَّ الرحيم بكل شيء، وأرسل لها جبريل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ فبحث بعقبه أو

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

بجناحه عند موضع قدم إسماعيل فانفجرت بئر زمزم، وفار الماء من البئر، راحت الأم تغرف بيدها وتشرب وهي تشكر الله، وشربت وسقت طفلها.

وأتم الله النعمة على إسماعيل وأمه

لقد أتمَّ الله على إسماعيل وأمه النعمة، فساق إليهم مَن يُساكنهم في ديارهم، فيأنسون به، وتزول بذلك عنهم الوحشة، فقد مَرَّ قريبًا منهم رفقة من قبيلة جُرهم، فنزلوا أسفل مكة، فرأوا طيورًا تحوم في الفضاء، وكانوا يعلمون أن مثل هذا الحومان لا يكون من الطير إلا حيث يوجد ماء.

قطعوا الشك باليقين فأرسلوا مَن يأتيهم بالخبر، فعاد إليهم الرسول يخبرهم بما رأى، فانطلقوا إلى حيث أم إسماعيل، ورأوا بأعينهم الخير المتدفق من الصخر، فأعجبهم ذلك، واستأذنوا أم إسماعيل في الإقامة معها، فأذنت لهم، واشترطت عليهم أنه لا حَقَّ لهم في الماء، ... ولكن أصل العين لها ولابنها، فأرسلوا إلى أهليهم، وسكنوا بجوارها.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قِصَّةُ

الذبيح

لما ترك إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ زوجه هاجر وابنها إسماعيل .. عاد إلى زوجته سارة في فلسطين ... وكان يزور هاجر وإسماعيل من حين لآخر حتى يطمئن عليهما.

ومرَّت الأعوام تلو الأعوام وشبَّ إسماعيل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ وبلغ مبلغ الشباب فكان له من العمر ثلاث عشرة سنة فاكتمل نُموُّه وظهرت على مُحياه معالم الرجولة والفتوة ففرح به أبوه إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ فقد أصبح الآن يرافقه ويأنس برؤيته .. وازداد تعلُّقه ومحبته لابنه إسماعيل وازداد شوقه وحنينه لرؤيته.

وذات يوم نام إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ فرأى في المنام أنه يذبح إسماعيل .. و«رؤيا الأنبياء حق».

أدرك إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ أنها إشارة من ربه للتضحية .. فماذا؟ إنه لا يتردد .. ولا يخطر له إلا خاطر الإيمان والتسليم..

لم يسأل: لماذا يأمرني ربي بذبح ابني الوحيد؟! ولم تُراوده الظنون .. لقد تغلب - بفضل الله - على جميع الوساوس.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

عرض إبراهيم رؤياه على إسماعيل ...: ﴿قَالَ يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلْمَنَامِ أَنِّيٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ﴾ [الصَّافَّات: ١٠٢].

فما كان من إسماعيل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ إلا أن استسلم لأمر الله جَلَّ وَعَلَا.. فقد كان صادق الوعد شديد الإيمان ثابت العزم واليقين، فقال لأبيه: ﴿يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [الصَّافَّات: ١٠٢].

وذهب إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ وأحضر سِكينًا ليذبح ولده الوحيد ... وبينما هو في الطريق إذ لقيه إبليس في هيئة رجل فقال له: إلى أين أنت ذاهب أيها الشيخ؟

قال إبراهيم: ذاهبٌ إلى هذا الوادي لأذبح ولدي.

فقال إبليس: لعل الشيطان قد جاءك في منامك فأمرك بذلك .. وهل هناك أحدٌ يذبح ولده بسبب حُلمٍ رآه.

فعرفه إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ وقال: إليك عني يا عدو الله .... ومَدَّ يده إلى الأرض وتناول حجرًا ورماه به .. وتكرر هذا الأمر ثلاث مرات.

وبعد أن انتصر إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ على إبليس أخذ ولده ليذبحه وينفذ ما أمره الله به .. وهنا أحسَّ إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ بعاطفة الأُبوة

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

.. فهو أبٌ قبل أي شيء .. ثم إنه سيذبح ولده الذي تمنَّاه طوال عمره.

فقال إسماعيل لأبيه: يا أبتِ إن أردت ذبحي، فاشدُد رباطي، واجعلني على وجهي حتى لا تنظر إليَّ فلا تُطيع أمر الله، واخلع قميصي هذا حتى تُكَفِّني فيه.

فقال إبراهيم: نِعم العون أنت يا ولدي على أمر الله.

وشحذ «إبراهيم» سِكِّينَهُ التي سيذبح بها ولده وثمرة فؤاده فلما رفع إبراهيم السِّكين وأهوى بها إلى رقبة ابنه جاء النداء العلوي من السماء ﴿يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ ١٠٤ قَدۡ صَدَّقۡتَ ٱلرُّءۡيَآۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٠٥ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلۡبَلَٰٓؤُاْ ٱلۡمُبِينُ﴾ [الصَّافَّات: ١٠٤ - ١٠٦].

والتفت إبراهيم فوجد كبشًا أبيض أقرن، قد بعثه الله فداءً لـ «إسماعيل».

كان الابتلاء قد تَمَّ. والامتحان قد وقع. ونتائجه قد ظهرت وغاياته قد تحققت. ولم يَعُد إلا الألم البدني، وإلا الدم المسفوح. والجسد الذبيح ... والله لا يريد أن يُعذب عباده بالابتلاء. ولا يريد دماءهم وأجسادهم في شيء.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

فعند ذلك نُودي من قِبَل الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿أَن يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ ١٠٤ قَدۡ صَدَّقۡتَ ٱلرُّءۡيَآ﴾ [الصَّافَّات: ١٠٤ - ١٠٥]. **أي:** قد حصل المقصود من اختبارك وطاعتك، ومبادرتك إلى أمر ربك.

ومن أجل ذلك فلقد فدى الله سيدنا إسماعيل عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ بكبشٍ كبير رعى في الجنة أربعين سنة .. فأخذه إبراهيم عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ وذبحه بدلًا من ولده.

وصار هذا اليوم عيدًا للمسلمين يذبحون فيه الذبائح قدوة بخليل الله إبراهيم عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ.

﴿وَفَدَيۡنَٰهُ بِذِبۡحٍ عَظِيمٖ ١٠٧ وَتَرَكۡنَا عَلَيۡهِ فِي ٱلۡأٓخِرِينَ ١٠٨ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ﴾

[الصَّافَّات: ١٠٧ - ١٠٩]

لقد أسلم إبراهيم عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ أمره إلى الله تَعَالَىٰ في تنفيذ أشقِّ وأصعب أمر على والد لم يُرزَق من البنين سوى واحد؛ وبعد طول انتظار. وأسلم إسماعيل عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ أمره إلى الله في الخضوع لمشيئة الباري في تحقيق الإرادة الربانية؛ والتضحية بالروح، وهي أغلى ما يملك الإنسان، دون تردُّد أو خوف.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

لهذا سُمِّي أحفاد «إبراهيم»، و«إسماعيل» بالمسلمين؛ أي الذين يُسلمون أمورهم كلها إلى الله تَعَالَىٰ ... وهذا الدين - كما ترى - هو دين الله في الأمم السابقة واللاحقة.

وعاد «إبراهيم»، و«إسماعيل» إلى البيت بنفسٍ راضية وهمة عالية، وأخبر «إبراهيم» زوجته «هاجر» بما حدث، فدمعت عيناها خشية ومحبة وشكرًا لله عَزَّوَجَلَّ.

الدروس المستفادة

- أن المسلم يرفع دائمًا شعار: ﴿سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾ [البَقَرَة: ٢٨٥]. فينفذ أمر الله جَلَّوَعَلَا حتى ولو كان على غير مراده .. فقد رأينا كيف أن إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ بعد ما رزقه الله بولده إسماعيل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ بعد عمر طويل رأى رؤيا بأنه يذبح ولده - ورؤيا الأنبياء وحي - فقام في التو واللحظة ليذبح ولده ولينفذ أمر الله.

- أن الله قال: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطَّلَاق: ٢ - ٣]. وقد رأينا كيف أن إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ لما قام لينفذ أمر الله ويذبح ولده جعل الله له مخرجًا من ذلك فعفا عنهما ثم رزقه بكبشٍ رعى في الجنة أربعين سنة ليكون فداءً لإسماعيل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قِصَّةُ

الغنم والحرث

وها هي قصة الغنم التي دخلت أرضًا لأُناسٍ آخرين فأفسدت الرزع الذي في تلك الأرض ... فيا تُرى ما الذي حدث في هذه القضية وفي تلك القصة؟

هذا ما سنعرفه الآن إن شاء الله تَعَالَىٰ.

قال تَعَالَىٰ: ﴿وَدَاوُۥدَ وَسُلَيۡمَٰنَ إِذۡ يَحۡكُمَانِ فِي ٱلۡحَرۡثِ إِذۡ نَفَشَتۡ فِيهِ غَنَمُ ٱلۡقَوۡمِ وَكُنَّا لِحُكۡمِهِمۡ شَٰهِدِينَ ٧٨ فَفَهَّمۡنَٰهَا سُلَيۡمَٰنَۚ وَكُلًّا ءَاتَيۡنَا حُكۡمٗا وَعِلۡمٗاۚ وَسَخَّرۡنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلۡجِبَالَ يُسَبِّحۡنَ وَٱلطَّيۡرَۚ وَكُنَّا فَٰعِلِينَ﴾ [الأنبياء: ٧٨-٧٩].

آتى الله نبيه داود عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ من نِعَمِه الكثير، وأخبرنا عن بعض ما آتاه في القرآن.

آتاه فضلًا.. قال تَعَالَىٰ: ﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضۡلٗاۖ﴾ [سبأ: ١٠].

وآتاه الملك والحكمة والعلم ... قال تَعَالَىٰ: ﴿وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلۡمُلۡكَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُ...﴾ [البقرة: ٢٥١].

وآتاه الحكمة وفصل الخطاب ... قال تَعَالَىٰ: ﴿وَشَدَدۡنَا مُلۡكَهُۥ وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡحِكۡمَةَ وَفَصۡلَ ٱلۡخِطَابِ﴾ [ص: ٢٠].

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وقد أحسن داود عَلَيْهِ السَّلَامُ الاستفادة من هذه المنح الربانية، واستخدامها في تقديم الخير لقومه، وإسعادهم بتطبيق شرع الله فيهم.

وشددنا مُلكه

قال تَعَالَىٰ: ﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُۥ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحِكْمَةَ وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ﴾ [صٓ: ٢٠]

لقد جعل الله مُلكه قويًّا بكثرة العدد والعُدد وأمدَّه بالنصر والتأييد وجعله منصورًا على أعدائه دائمًا حتى أن أعداءه كانوا يخافون منه في وقت الحرب بل وفي وقت السلم.

وفوق ذلك فقد أعطاه الله جَلَّ وَعَلَا الحكمة.

أي: النبوة والكلام الطيب الذي يَحُضُّ على مكارم الأخلاق والآداب .. وكذلك آتاه فصل الخطاب فكان يستطيع أن يميز بين الحق والباطل ولذلك كان يقضي بين الناس ويحكم بينهم بالعدل ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحِكْمَةَ وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ﴾ [صٓ: ٢٠].

وهذه شهادة من الله لنبيه داود عَلَيْهِ السَّلَامُ بموهبته في الحكم والقضاء، حيث كان يحكم بين الناس بشرع الله، ويقضي بين المتخاصمين والمتنازعين، بالحكمة التي آتاه الله إياها.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وكانت أحكام داود وأقضيته عَلَيْهِ السَّلَامُ صائبة صحيحة ... كيف لا وهو النبي المُؤيَّدُ من الله، المعصوم بعصمة الله له ... وكانت أحكامه وأقضيته تؤدي إلى فصل الخطاب وقطع الخلاف، و إنهاءِ النزاع.

وكان يساعدُه في أقضيته وأحكامه ابنُه سليمان صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، الذي آتاه الله الحكمةَ والعلمَ أيضًا، فأضافَ حكمتَه إلى حكمة أبيه، وعلمه إلى علمه ... وإذا دعت الحاجة إلى الاستدراك على أبيه في حُكمه كان يفعل، وكان أبوه يتقبل ذلك برضًا، ويُمضي حُكم ابنه وقضاءه.

فكان داود عَلَيْهِ السَّلَامُ يُخصص بعض وقته للتصرُّف في شئون الملك، وللقضاء بين الناس. ويخصص البعض الآخر للخلوة والعبادة وترتيل أناشيده تسبيحًا لله في المحراب ... وكان إذا دخل المحراب للعبادة والخلوة لم يدخل إليه أحد حتى يخرج هو إلى الناس.

وداود وسليمان
إذ يحكمان في الحرث

لقد كان داود عَلَيْهِ السَّلَامُ يجلس بين الناس فيُذكرهم بالله جَلَّ وَعَلَا،

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ويحل لهم مشاكلهم، ويقضي بينهم في الخصومات التي تحدث بينهم.

وذات يوم كان يجلس في مجلسه وجاءه بعض الناس ليحكم بينهم في خصومة حدثت بينهم .. فتعالوا بنا لنرى كيف قضى فيها نبي الله داود عَلَيْهِ السَّلَامُ، ثم قضى فيها ابنه سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ بحكمٍ آخر فوافق داود على حُكمه.

فتعالوا بنا لنعرف هذه القصة:

أقبلت غنمٌ ليلًا على مزرعة ولم يكن معها راعيها فأفسدت الزرع، وأتت عليه، فاحتكم أصحاب المزرعة إلى داود قائلين: يا نبي الله! إنَّا حرثنا أرضنا وزرعناها وتعهدناها حتى إذا آن أوان حصادها جاءت غنم هؤلاء القوم ليلًا فانتشرت في زرعنا وأكلته حتى لم يبقَ منه شيء، فقال داود لأصحاب الغنم: أحقًّا ما يقول هؤلاء؟ قالوا: نعم، فقال لأصحاب المزرعة كم تُقدرون ثمنًا لزرعكم؟ فذكروا له الثمن، فقال لأصحاب الغنم: كم تقدرون ثمنًا لأغنامكم؟ فقدروه بثمنٍ ما ... فلما رأى داود الثمنين متقاربين قال لأصحاب الغنم: ادفعوا أغنامكم إلى أصحاب المزرعة تعويضًا لهم عن زرعهم.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ولكن ابنه سليمان كان حاضرًا يشهد هذه المحاكمة فابتدر أباه قائلًا: لي رأى في هذه القضية، وهو أن يدفع أصحاب الغنم أغنامهم إلى أصحاب المزرعة فينتفع هؤلاء بأصوافها وألبانها ونتاجها، وأن يأخذ أصحاب الغنم المزرعة فيحرثوها ويزرعوها ويسقوها ويتعهدوها حتى يستوى الزرع، فإذا حان وقت حصاده سلَّموا المزرعة إلى أصحابها وتسلَّموا منهم أغنامهم ... فرضى الجميع بهذا الحكم، وقال داود: وُفِّقت يا بُني بهذا الحكم، وحكم بما أفتى به سليمان.

وهذا ما أشار إليه القرآن: ﴿وَدَاوُۥدَ وَسُلَيۡمَٰنَ إِذۡ يَحۡكُمَانِ فِي ٱلۡحَرۡثِ إِذۡ نَفَشَتۡ فِيهِ غَنَمُ ٱلۡقَوۡمِ وَكُنَّا لِحُكۡمِهِمۡ شَٰهِدِينَ ٧٨ فَفَهَّمۡنَٰهَا سُلَيۡمَٰنَۚ وَكُلًّا ءَاتَيۡنَا حُكۡمٗا وَعِلۡمٗا﴾ [الأنبياء: ٧٨ - ٧٩].

أي أن داود عنده حُكمٌ وعلمٌ من الله، وسليمان عنده حُكمٌ وعلمٌ من الله .. فحكم داود في القضية بما آتاه الله من حُكمٍ وعِلمٍ، ثم حَكَم فيها سليمان بما آتاه الله من حُكمٍ وعلمٍ، فجاء حُكم داود فيها صوابًا، لكن كان حُكم سليمان أكثر صوابًا.

فالآية لم تُخطِّئ داود في حُكمه، وإنما أثنت عليه لما عنده من حُكمٍ وعلم ... وهذا معناه أن حُكمه كان صحيحًا وليس خطأً.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

إذًا لم يخطئ داود في حكمه في القضية عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، لأنه معصوم من الله، وكان حُكمُه وقضاؤه صوابًا وصحيحًا.

ولكنَّ حُكمَه كان خلاف الأَولَى ... ففهَّم الله سليمان القضية، وأرشده إلى الحُكم الأَولَى والأفضل والأصوب.

ولهذا أثنى الله على كُلٍّ من داود وسليمان بقوله: ﴿وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ [الأنبياء: ٧٩].

ووجود سليمان مع داود في حُكمه وقضائه، يُعينه ويؤيده، ويستدرك عليه عند الضرورة، مَظهرٌ آخر من مظاهر توفيق الله لداود وتيسير أمره، وتشديد مُلكه: ﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُۥ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحِكْمَةَ وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ﴾ [ص: ٢٠].

فقد جمع الله علم وحكمة وفهم سليمان إلى علم وحكمة داود عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، وتعاونا على الحكم بالعدل والصواب..

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الدروس المستفادة من القصة

- أن النصر ليس بكثرة العدد والعتاد وإنما بقوة الإيمان والعقيدة .. ومن ثَمَّ فإن النصر من عند الله وحده جَلَّوَعَلَا.
- من عاش على طاعة الله فإن الله يحبه ويُلقى محبته في الكون كله .. فقد رأينا كيف كان الكون كله يحب داود عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ.
- أن العبد لابد أن يستعمل نعم الله عليه في كل ما ينفعه في دينه ودنياه .. وقد رأينا كيف كان داود عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ يبذل كل جهده في الصيام والقيام والتسبيح وصناعة الدروع وغير ذلك مما ينفعه في دينه ودنياه.
- أن القاضي لا ينبغي أن يحكم بين اثنين إلا إذا استمع لهما حتى يستطيع أن يحكم بالعدل دون ميل إلى الآخر.
- عليك أن تقبل الحق والنصح من أي إنسان ولوكان أصغر منك سنًّا فقد قبل داود حكم سليمان رغم صغر سنه عَلَيْهِمَا ٱلسَّلَامُ.
- المسلم لابد أن يكون غيورًا على نسائه كما كان داود عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ غيورًا على نسائه.
- أن الله يكرم العبد الصالح عند موته فقد رأينا كيف ظللت الطير فوق داود عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ عند موته حتى لا تؤذيه الشمس.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قِصَّةُ

ناقة صالح عَلَيْهِ السَّلَامُ

ها هي قصة جديدة من قصص الحيوان في القرآن، وسنتعايش هذه المرة مع ناقة نبي الله صالح عَلَيْهِ السَّلَامُ.

لقد أهلك الله عَزَّوَجَلَّ قوم عادٍ لما كفروا بربهم ... ثم جاءت أمة أخرى من بعد «عاد» - وهم قوم «ثمود» - ولكنهم ما جاءوا ليعتبروا بهلاك الأمم من قبلهم فيؤمنوا بالله عَزَّوَجَلَّ، وإنما جاءوا ليستكملوا مسيرة الكفر والشرك التي بدأها قوم نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ ووقع فيها قوم «عاد» فأهلكهم الله بذنوبهم ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٤٩].

وقوم ثمود هم قوم نبي الله صالح عَلَيْهِ السَّلَامُ.

وكانوا يسكنون في منطقة تُسمى «الحِجر» في شمال الجزيرة العربية بين الحجاز وتبوك.

وكان قوم ثمود قد أنعم الله عليهم بالخيرات والنِّعم الكثيرة فكانوا يعيشون في مكانٍ يُظلله النخيل والأشجار وتنتشر فيه الكثير من العيون والمياه العذبة ... فكانوا في سعادة ونعيم حتى أنهم كانوا يقيمون القصور الفخمة في السهول..

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

نعم .. لقد كان الواحد منهم يبني بيتًا من أغصان الشجر وعروقه ولكن البيت كان يتهدم قبل وفاة صاحبه، فما كان منهم إلا أن فكروا في بناء بيوتٍ قوية في الجبال فكانت تلك البيوت منيعة قوية.

لقد كان الواحد منهم يذهب إلى الصَّخرة فينحتها بيده ويتخذها بيتًا له ولأسرته ... وهذا من فرط قوته التي أعطاه الله إياها.

وظلوا على هذا الحال فترة من الزمان .. وكانوا كلما مرت الأيام نسوا نِعم الله عليهم حتى انتهى بهم الأمر إلى أن كفروا بالله جَلَّوَعَلَا ونحتوا أصنامًا ليعبدوها مثل ما فعل قوم نوحٍ وقوم عادٍ من قبل.

وفي ظلِّ هذا الظلام الحالك من الكفر الذي انتشر بينهم أرسل الله إليهم نبيه صالحًا ليدعوهم إلى عبادة الواحد القهار.

نبي الله صالح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ يدعو قومه للتوحيد

لقد كان قوم ثمود يعيشون في رخاء ونعيم لا يعلمه إلا الله جَلَّوَعَلَا ... فها أنت وكأنك تراهم قد فجَّروا العيون، وغرسوا

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الحدائق والبساتين، وشيَّدوا القصور، ونحتوا من الجبال بيوتًا، وكانوا في سعة من العيش ورغد، ونعمة وترف، ولكنهم لم يشكروا الله، ولم يحمدوا له فضله؛ بل زادوا عُتوًّا في الأرض وفسادًا، وبُعدًا عن الحق واستكبارًا، وعبدوا الأوثان من دون الله، وأشركوا به، وأعرضوا عن آياته، وظنوا أنهم في هذا النعيم خالدون، وفي تلك السعة متروكون.

بعث الله إليهم صالحًا من أشرفهم نسبًا وأوسعهم حلمًا، وأصفاهم عقلًا، فدعاهم إلى عبادة الله، وحضَّهم على توحيده، ... فهو الذي خلقهم من تراب؛ وعمَّر بهم الأرض، واستخلفهم فيها، وأسبغ عليهم نعمه، ظاهرةً وباطنةً، ثم نهاهم أن يعبدوا الأصنام فهي لا تملك لهم ضرًّا ولا نفعًا ولا تُغني عنهم من الله شيئًا.

وبدأ يُذكرهم بأن هذا النعيم لا يدوم لأحدٍ، فإن الدنيا قنطرة يعبر عليها العبد إلى آخرته، ولذلك قال لهم صالح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿أَتُتْرَكُونَ فِي مَا هَٰهُنَآ ءَامِنِينَ ﴿١٤٦﴾ فِي جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٤٧﴾ وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ ﴿١٤٨﴾ وَتَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا فَٰرِهِينَ ﴿١٤٩﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٥٠﴾ وَلَا تُطِيعُوٓا۟ أَمْرَ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿١٥١﴾ ٱلَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ﴾ [الشعراء: ١٤٦ - ١٥٢].

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

دعوة صالح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ لقومه

بدأ صالح عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ بدعوة قومه إلى عبادةِ الله وحده، وعدمِ الإشراك به، وهي «نقطةُ البدءِ» التي بدأَ بها كلُّ نبيٍّ ... ولهذا قال لهم: ﴿يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ﴾ [هُودٍ: ٦١].

وقدَّم لهم نفسَهُ باعتباره رسولًا أمينًا لهم، وأَمَرَهم بطاعته، وحثَّهم على تقوى الله: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٤١﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَٰلِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٤٢﴾ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٤٣﴾ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾ [الشُّعَرَاءِ: ١٤١ - ١٤٤].

وأخبرهم بعدم انتظاره الأجْر منهم، وإنَّما يقومُ بواجبه في دعوتهم إلى الله ... أمَّا الأجُر فهو عند الله ﴿وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الشُّعَرَاءِ: ٤٥].

ولفتَ أَنظَارهم إلى آيتِهِ البينة، وهي النَّاقَة، ونَهاهَم عن إيذائها: ﴿قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً ۖ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِ ۖ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [الأَعْرَافِ: ٧٣].

وذكَّرهم بنعم الله عليهم، في استخلافِهم بعد عادٍ، وفي تسخير الأرض لهم، وطالَبَهم بمقابلةِ نعم الله بالشُّكر، وليس بالإفساد والكفر: ﴿وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿تَنَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ [الأعراف: ٧٤].

وقال لهم: ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ﴾ [هود: ٦١].

وبينما أمرهم صالحٌ بتقوى الله وطاعته، وطاعةِ صالح نفسه باعتباره رسولًا لهم، فقد نهاهم عن العكس والنقيض ... نهاهم عن طاعة المسرفين المفسدين الظالمين، من كُبرائهم وسَاداتهم: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٥٠﴾ وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ ﴿١٥١﴾ الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ﴾ [الشعراء: ١٥٠ - ١٥٢].

لقد شبَّ صالحٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ في قومه، ونشأ بينهم، ورَأَوا صفاتِهِ الطَّيبة، وعَرَفوه عن يقين، وكان مَعقِدَ آمالهم، ومحطَّ رجائهم، وكانوا ينتظرونَ منه الكثيرَ لهم، وظنوا أنه سيتابعُهم على كفرهم، ويشاركهم شِركهم بالله، ولذلك جعلوه مَرجُوًّا فيهم.

ولكنهم فوجئوا بنبوَّتِهِ، ودعوته إلى توحيدِ الله وإفراده بالعبادة، والتخلِّي عن ما كان يعبدُ آباؤهم من الأوثان والأصنام، واعتبروها دعوةً غريبةً مُستهجَنة مرفوضة!!

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

فلما قام صالح عَلَيْهِ السَّلَامُ وذكَّرهم بنعم الله عَزَّوَجَلَّ عليهم وأمرهم أن يتوجهوا بالعبادة لفاطر السماوات والأرض كانت النتيجة أنهم تعجبوا أن يأتيهم رجل فيطلب منهم أن يتركوا دين الآباء والأجداد.

﴿قَالُوا يَا صَالِحُ قَدْ كُنْتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَذَا أَتَنْهَانَا أَنْ نَعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا وَإِنَّنَا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ﴾ [هُودٍ: ٦٢].

لقد كان لنا رجاء فيك ... كنت مرجوًّا فينا لعلمك أو لعقلك أو لصدقك أو لحسن تدبيرك.

أتنهانا أن نعبد ما يعبد آباؤنا؟!.. كل شيء نقبله منك إلا هذا يا صالح .. ما كنا نتوقع أبدًا أن تعيب آلهتنا التي كان يعبدها الآباء والأجداد. إن أهل الباطل يبغضون من يدعوهم إلى الحق ويحاول أن يحملهم عليه، فصالح عَلَيْهِ السَّلَامُ كان محبوبًا عندهم قبل أن يدعوهم إلى التوحيد ونبذ الشرك ... كما قال تَعَالَى - حكاية عنهم: ﴿يَا صَالِحُ قَدْ كُنْتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَذَا﴾ [هُودٍ: ٦٢]. ثم تغير الحال بعد دعوته إياهم حتى صار من أبغض الناس إليهم مع أنه تلطَّف معهم في الدعوة وصبر عليهم.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

صالح عَلَيْهِ السَّلَامُ يستمر في دعوتهم

واستمر نبي الله صالح عَلَيْهِ السَّلَامُ في دعوة قوم ثمود ولم ييأس من هدايتهم.

وكان «صالحٌ» معروفًا بينهم بالخُلُق الكريم والسِّيرةِ الحسنة، ولم يكنْ غنيًّا مُتْرَفًا؛ كان مُتَوَسِّطَ الحال.

أَخْلَصَ «صالحٌ» في نصيحةِ قومِهِ، وذكَّرهم بالله الخالقِ، وخوَّفهم من بأسِهِ الشديد، ونهاهُم عن عبادَةِ الأَحجارِ التي لا تضُرُّ ولا تنفعُ، ولا تسمعُ ولا تتكلَّم، ولا تُعطي ولا تَمْنع. وكان لا يترُكُ فُرصَةً تَمُرُّدونَ أن يعِظَهُم، ويهْدِيهُم إلى الخيرِ، ويدعُوَهُم إلى الحقِّ.

فاستجابَ له البُسَطَاءُ الضُّعَفَاءُ، وآمنوا به، واستمعوا لِقَولِهِ واتَّبعوه. أمَّا الأغنياءُ وأصحابُ السُّلْطَانِ والنّفوذِ فَسَخِروا مِنْهُ، وهزِئوا به وبالمؤمنين الَّذين أيَّدوه.

وكان«صالح» يُذَكِّرُهم بأنَّه لا يُريدُ على النَّصيحةِ أجرًا، ولا على الهدايةِ ثوابًا إنَّما يطلبُ الجزاءَ من الله تَعَالَى.

واستمرَّ عَلَيْهِ السَّلَامُ في دعوة المؤمنين إلى الطاعة لله وحده وأن

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

لا يستمعوا إلى زُعمائهم من الأغنياء وأصحاب النفوذ؛ لأنَّ هؤلاء يُفسِدون في الأرض ولا يُصلحون.

وكان المُسْتكبرون من قوم «صالح» مُعاندين؛ فعَزَّ عليهم أن يطيعُوا رجُلًا بسيطًا مِنهُم ويصبحوا أَتباعًا له؛ يستشيرونَهُ ويستهدونه! وقاموا بالفِتْنَةِ؛ فجاؤوا إلى المُسْتضعَفين من المؤمنين وقالوا لهم: ﴿أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَٰلِحًا مُّرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ قَالُوٓاْ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلَ بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ﴿٧٥﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓاْ إِنَّا بِٱلَّذِىٓ ءَامَنتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ﴾

[الأعراف: ٧٥ - ٧٦]

هكذا أصرَّ الكفَّار على كفرهم وثبت المؤمنون على إيمانهم ولم ييأس نبي الله صالح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ من دعوة هؤلاء الكافرين فكان يدعوهم إلى الله وهم يكذبونه ويسخرون منه فكان يصبر على إيذائهم ويُذكرهم بنعم الله عليهم لعلَّ قلوبهم تنفتح لنعمةِ الإيمان والتَّوحيد ... فكان يقول لهم: ﴿وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ ٱلْجِبَالَ بُيُوتًا ۖ فَٱذْكُرُوٓاْ ءَالَآءَ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْاْ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ [الأعراف: ٧٤]. ومع ذلك لم تتحرك قلوبهم ولم تتأثر بتلك الدعوة الهادئة الرحيمة.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ولم يكتفوا بذلك بل اتهموا نبي الله صالحًا عَلَيْهِ السَّلَامُ بالسحر والجنون ومع ذلك لم يلتفت لتلك الاتهامات بل استمر في دعوته رجاء أن يهديهم الله على يديه.

وهاهم يطلبون الآيات

فلما وجدوا أنفسهم لا يملكون أي حُجة أمام الحُجج الساطعة والكلمات الناصعة التي تخرج من فم صالح عَلَيْهِ السَّلَامُ والتي تدعوهم إلى توحيد الباري جَلَّ وَعَلَا.. وإذا بهم يطلبون منه الآيات ظنًّا منهم أنه سيعجز عن أن يأتيهم بآية من عند ربه عَزَّوَجَلَّ.

﴿قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلۡمُسَحَّرِينَ ١٥٣ مَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُنَا فَأۡتِ بِـَٔايَةٍ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [الشعراء: ١٥٣ - ١٥٤].

وإذا به يجيبهم إجابة الواثق في موعود ربه عَزَّوَجَلَّ ويقول لهم: ﴿قَالَ هَٰذِهِۦ نَاقَةٞ لَّهَا شِرۡبٞ وَلَكُمۡ شِرۡبُ يَوۡمٖ مَّعۡلُومٖ ١٥٥ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٖ فَيَأۡخُذَكُمۡ عَذَابُ يَوۡمٍ عَظِيمٖ﴾ [الشعراء: ١٥٥ - ١٥٦].

خروج الناقة من الصخرة

وها هي تفاصيل خروج تلك الناقة المباركة.

فلقد كان قوم صالح يجلسون في ناديهم الذي يجتمعون

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

فيه فجاءهم نبي الله صالح عَلَيْهِ السَّلَامُ فدعاهم إلى الله وذكَّرهم ولم ييأس من هدايتهم لحظة واحدة فهو الذي يعلم أن قلوب العباد بين أُصبعين من أصابع الرحمن يُقلِّبها كيف يشاء.

فلما دعاهم إلى الله قالوا له: يا صالح .. إن أنت أتيت بآية «معجزة» لَنُؤمنن معك بربك في التوِّ واللحظة.

فقال: وأي آية تريدون؟

قالوا: نريد منك أن تُخرج لنا من هذه الصخرة ناقة عظيمة - وذكروا له أوصافًا لاتخطر على قلب بشر - ثم قالوا: فإن فعلت ذلك آمنَّا معك.

فما كان من نبي الله صالح عَلَيْهِ السَّلَامُ إلا أن لجأ إلى الله عَزَّوَجَلَّ الذي يسمع دبيب النملة السوداء تحت الصخرة الصَّمَّاء في الليلة الظَّلماء.. وقال: يا رب أرهم هذه الآية لعلهم يهتدون...

ثم نظر إليهم وقال: أرأيتم إن أجبتكم إلى ما سألتم على الوجه الذي طلبتم، أتؤمنون بما جئتكم به وتصدقوني فيما أُرسلت به؟ قالوا: نعم، فأخذ عهدهم ومواثيقهم على ذلك.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ثم قام إلى مُصلاه فصلي لله عَزَّوَجَلَّ ما قُدِّر له، ثم دعا ربه عَزَّوَجَلَّ أن يُـجيبهم إلى ما طلبوا.

وفجـأة .. حـدث شيءٌ لم يخطـر ببالهم أبدًا .. يا تُـرى ما الذي حـدث؟ .. لقـد انشـقَّت الصخـرة وصـدر منها صوتٌ شـديد .. وخرجت ناقة عُشراء بنفس الصِّفات التي طلبوها فكادت عقولهم أن تطيـش، وكادت قلوبهـم أن تلين .. ولكـن هيهات هيهات فقد كانت قلوبهم أشد قسوة من الحجارة.

لقـد آمـن بعضهم ودخـل الإيمان قلبـه وعلم يقينًـا أن صالحًا مُرسَـلٌ من ربـه عَزَّوَجَلَّ .. ولكن بقي أكثرهم عـلى الكفر الذي ملأ قلوبهم، ولم يفارقهم لحظة واحدة.

ناقة مباركة

وظلـت هذه الناقـة تعيش بينهم زمانًا في أمـانٍ ... وذلك لأن صالحًا عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ حذرهم من أن يمسوها بسوء فيحل عليهم عذاب الله وسخطه.

وأخبرهم بأن هذه الناقة سـتشرب من الماء يومًا وهم يشربون يومًـا .. ففي اليوم الـذي يشربون فيه تمتنع الناقة عن الماء وفي اليوم

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الـذي تشرب فيه الناقة يمتنعون عـن الماء ويحلبون لبن الناقة الذي كان يكفيهم أجمعين.

قـال صالـح عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿هَٰذِهِۦ نَاقَةٌ لَّهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿١٥٥﴾ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [الشُّعَرَاء: ١٥٥ - ١٥٦]. فحذرهـم نقمة الله عليهم إن أصابوا الناقة بسـوء .. فمكثت الناقة بينهـم حينًا من الدهر تشرب من الماء هـي وفصيلها «ابنها» وتأكل الورق والمرعي وينتفعون بلبنها يحلبون منها ما يكفيهم.

معجزة شربها لماء العين كله

وقـد كان شربُ الناقـة للماء شُربًـا خاصًّا مُعجِزًا، أشـارتْ له آياتُ القرآن.

﴿قَالَ هَٰذِهِۦ نَاقَةٌ لَّهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿١٥٥﴾ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [الشُّعَرَاء: ١٥٥ - ١٥٦].

وقـال تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّا مُرْسِلُوا۟ ٱلنَّاقَةِ فِتْنَةً لَّهُمْ فَٱرْتَقِبْهُمْ وَٱصْطَبِرْ ﴿٢٧﴾ وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ ٱلْمَآءَ قِسْمَةٌۢ بَيْنَهُمْ ۖ كُلُّ شِرْبٍ مُّحْتَضَرٌ﴾ [القَمَر: ٢٧ - ٢٨].

لقـد كان ماءُ عينِ ثمودَ بينهم وبـين الناقة، حيث يشربون هم مـاءَ العـين يومًا، وتشربُ الناقـةُ وحدَها ماء العين كلَّـه يومًا آخر،

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وهكـذا يكونُ شربُ ماء العين بالتنـاوب بينهم وبين الناقة. كلٌّ له شِربُ يومٍ معلومٌ مُـحدَّد، وكلٌّ يحضرُ ليشرب العين في يومه، وإذا كانَ يـومُ شرب الناقة، فعليهـم أن يُـخَلُّوا بينها وبين شرب العين، ولا يمنعوها من ذلك، ولا يَمسُّوها بسوء.

إذن كان قـومُ ثمـود كلُّهـم يشربون مـاءَ العين يومًـا، والناقةُ وحدَها تشربُ ماءَ العين كله يومًا آخر!!

أمـا كيف كانت الناقةُ تشربُ وحدهـا ماءَ العين؟ وأين كانت تضعُ هذا الماء؟ فهذا لا يعنينا، ولا نستغربُه؛ لأنَّ هذه الناقة معجزة، ولذلـك شُربُها وحدها لمـاءِ العين كلِّه يومًا بعد يـوم معجزةٌ أيضًا، وطالمـا أن الله أخبرنا عن ذلك في القـرآن، فنحن نؤمنُ به ونصدقُه ونقولُ به.

وعقروا الناقة

فلـما طال عليهم هذا الحال اجتمع علماؤهم، واتفق رأيهم على أن يعقـروا هـذه الناقة - يقتلوها - ليسـتريحوا منها ويتوافر عليهم ماؤهم، وزيَّن لهم الشيطان أعمالهم..

قـال الله تَعَالَىٰ: ﴿فَعَقَرُوا۟ ٱلنَّاقَةَ وَعَتَوْا۟ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا۟ يَٰصَٰلِحُ ٱئْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [الأعراف: ٧٧].

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وكان الذي تولى قتلها منهم رئيسهم: قَدَّار بن سالف.

قتل الناقة:

كان صُنيم بن هراوة قد تزوج بامرأة غنية اسمها صَدوق، فلما آمن كان يستخدم ماله في الإنفاق على نبي الله صالح والمؤمنين، فعاتبته صَدوق لأنها كانت كافرة.

ثم أخذت أولادها فخبأتهم عند أبناء عمها، فقال صُنيم: رُدِّي عليَّ أولادي. فرفضت، فتحاكما إلى أبناء عمه وكانوا مؤمنين فَرَدُّوا عليه أولاده.

فازدادت صدوق كراهية لصالح عَلَيْهِ السَّلَامُ الذي أنفق زوجها المال عليه، وآمن به، وفرَّق بينها وبين أولادها.

وكان لها صديقة اسمها عُنيزة بنت غُنيم، وكانت كافرة هي الأخرى وكان لها غَنَمٌ تخرج لترعي، فإذا رأت الغنم ناقة صالح هربت من أمامها، ولا تجد الأغنام ماءً تشربه، فاغتاظت عُنيزة.

وجمع بينها وبين صَدوق كراهية صالح والمؤمنين معه واتفقتا على قتل الناقة.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وكُلما عرضتا المال على رجلٍ ليقتل الناقة يرفُض؛ لأنه رأى أن هذا عملٌ فظيع؛ فهي ليست ناقة عادية، وإنما هي آيةٌ من عند الله.

ولكن رجلًا واحدًا هو «مُصرعُ بن مهرج» كان يُحب صَدوقًا ويريدها لنفسه، فوافق على قتل هذه الناقة، ثم خرج يبحث له عن أعوان لارتكاب هذه الجريمة الفظيعة، فوافقه صديقه قَدَّار بن سالف وكان عزيزًا في قومه.

ثم انطلقا حتى صار عدد عصابتهم تسعة رجال يُفسدون في الأرض ولا يُصلحون، وتزعَّمهم قدار بن سالف أشقى القوم.

انطلق هؤلاء الرجال التسعة الأشرار في تلك المهمة التي ستجلب عليهم غضب الله وسخطه وعذابه .. ذهبوا ليقتلوا الناقة.

بحثوا عنها حتى وجدوها قادمة من البئر فقام أحدهم وهو قدار بن سالف فرماها بسهمٍ فأصاب ساقها فخرَّت ساقطة على الأرض وأصدرت صوتًا لولدها لتُحذره ليهرب من هؤلاء المجرمين .. ثم قام الرجل وطعنها ثم ذبحها وسالت دماء الناقة على الأرض فلما رآها ولدها هرب إلى أعلى الجبل.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ويُقال: إن ولد الناقة لما رأى أمه قد قُتلت أمام عينيه فزع فزعًا شديدًا وهرب منهم .. فلما أرادوا أن يلحقوا به وجدوه قد دخل في تلك الصخرة التي خرج منها هو وأمه بعد أن صرخ صرخة شديدة.. والله أعلم.

وحان وقت الهلاك

ولما علم نبي الله صالح عَلَيْهِ السَّلَامُ بما حدث خرج غاضبًا على قومه وقال لهم: ألم أُحذركم من أن تَمسُّوا الناقة بسوء؟ فانتظروا العذاب الذي سيأتيكم من عند الله جَلَّ وَعَلَا.

ومع ذلك سخروا منه وظنوا أنه يستهزئ بهم أو أنه يهددهم ولم يصدقوا أن العذاب سيحيط بهم من كل جانب فقالوا له في سخرية: ﴿يَٰصَٰلِحُ ٱئۡتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ﴾ [الأعراف: ٧٧]. فقال لهم صالح عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿تَمَتَّعُواْ فِي دَارِكُمۡ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٖۖ ذَٰلِكَ وَعۡدٌ غَيۡرُ مَكۡذُوبٖ﴾ [هود: ٦٥].

كيف نزل العذاب على الكافرين

لقد وعدهم صالح عَلَيْهِ السَّلَامُ أن ينزل بهم العذاب بعد ثلاثة أيام .. وكانو قد قتلوا الناقة يوم الأربعاء وأصبحت ثمود يوم

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الخميس - وهو اليوم الأول من أيام الـمُهلة - ووجوههم مُصفرَّة كما وعدهم صالح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ.

ولـمَّا كان صباحُ اليـوم الثاني رَأَوْا وجوهَهُم حمراء كما قال لهم أيضًا؛ ولكنَّهم لم يهْتَمُّوا بل قالوا لعلَّها رَدَّةُ الدَّمِ إلى الجسم والوَجْهِ بعد صُفْرَةِ المرض.

فلمَّا كان اليومُ الثالثُ ورأَوا وجوهَهُم سَـوْدَاءَ مُظلمةً، أدركوا أنَّهم كانوا يخدعون أنفسَـهم في الأيام السـابقة؛ واعتقدوا أنَّ الأمر جِـدٌّ كَـمَا أنبأهُـم «صالح»؛ فـأرادوا أن يفتِكـوا بِهِ ويقْتُلـوه قبل أن يموتوا هُم!

واجتمع نَفَرٌ من قومه، وتقاسموا على أن يتَسَلَّلُوا إليه في جُنْحِ الظَّـلام، ويباغتـوه وأهله والنـاسُ نيـام؛ فيوقعوا بهم مـن غَيرِ أن يراهم أحد، وأجْمَعوا أمرهم بينهم على أن يكون ذلك سِرًّا مكتومًا، لا يُذيعونه، ولا يتناقلونه.

بيَّتـوا له الشرَّ، وأضمروا له ولأهلـه القتل، ظنًّا منهم أن ذلك يعصِمُهم من العذاب، وينجيهم مما سـيحُلُّ بهم من عقاب؛ ولكنَّ الله لم يُمهلهـم، بـل أحبـط مكرهـم، وردَّ إليهـم كيدهـم، ونجَّـاه

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

مما أرادوا به، وأنقذه والذين آمنوا معه من العذاب، وأنزل بالكافرين عقابه؛ تصديقًا لوعده، ومظاهرة لنبيه.

نعم .. لقد أهلكهم الله عَزَّوَجَلَّ كما وعدهم نبي الله صالح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ففي اليوم الثالث لما أصبحوا ووجدوا وجوههم مُسودة وكأنها قد طُليت بالقار قاموا وتحنَّطوا وكَفَّن بعضهم بعضًا وقعدوا ينتظرون العذاب .. لا يدرون ماذا يُفعَل بهم ولا كيف يأتيهم العذاب.

الله يعذبهم بالصَّيحة والرجفة والصَّاعقة

ولما أشرقت الشمس جاءتهم صيحة من السماء ورجفة شديدة من أسفل منهم وأصابتهم الصاعقة ففاضت أرواحهم وزهقت أنفسهم في ساعة واحدة.

وقد أطلقَ القرآنُ على العذاب الذي وقعَ بقوم ثمود عدةَ أسماء. فسمَّاه: صيحة، ورجفة وصاعقة.

ولا تعارُضَ بين هذه الأسماء، فكلُّ اسمٍ تُلحَظُ فيه مرحلة من مراحل ذلك العذاب، ودرجة من درجاته.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

لقد انشقَّت بهم الأرض، فسمعوا لها صيحة قوية، وصوتًا عاليًا، ثم رجفت بهم وحرَّكتهم، ثم صعقَتْهم وأهلكتهم.

قال تَعَالَىٰ: ﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ مُصْبِحِينَ﴾ [الحجر: ٨٣].

لقد انشقَّت الأرضُ أمامَ ثمود، وزُلزلت، وسمعوا لانشقاقِها صوتًا عاليًا، وصيحة مُدوية.

وهذه الصيحةُ المُدويةُ التي سمعوها نتجَ عنها رجفةٌ قوية.

قال تَعَالَىٰ: ﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ﴾ [الأعراف: ٧٨]

وهذه الرجفةُ وقعتْ بعد الصيحة، فقومُ ثمودَ سمعوا صيحةً قوية، ثم رجفتْ بهم الأرض بعد ذلك، وتحركتْ حركةً شديدةً، وزُلزلتْ زلزالًا كبيرًا بعد الصيحة.

ثم صُعقوا بعد الصيحة والرجفة، فسُمِّي العذابُ الواقعَ بهم «صاعقة». قال تَعَالَىٰ: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ فَٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهُدَىٰ فَأَخَذَتْهُمْ صَٰعِقَةُ ٱلْعَذَابِ ٱلْهُونِ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾ [فصلت: ١٧].

لقد صُعِقَ قومُ ثمود بالصَّاعقة، وكانوا ينظرون وهم

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

مصعوقون، عاجِزون عن الحركة أو الهرب، غيرُ قادرين على الانتصار أو دفع ذلك العذاب عنهم.

لقد طغتْ ثمود، ولم يلتفتوا لتحذير صالح عَلَيْهِ السَّلَامُ، وأقدموا على عقر الناقة، فأوقعَ اللهُ بهم العذاب، وأخذهم بالصيحة والرجفة والصاعقة ودمدمَ عليهم، وسوَّى مكانهم بالأرض، أو سوَّى الأرض بهم!

أَهلكَ اللهُ ثمودَ بعَدلِهِ، وعاقَبهم جزاءً على كفرهم وطغيانهم، ودمدمَ عليهم، وأطبقَ عليهم العذابَ، حتى عمَّهم جميعًا، وسَوَّى الأرض بهم، وهو القويُّ الحكيم العادل، فلا يخافُ متابعًا يتابعه، ولا محاسبًا يحاسبه، ولا نكيرًا يُنكرُ عليه، فهو الفعَّالُ لما يريد، لا رادَّ لأمره، وفعلُه كلُّه عدلٌ وحكمةٌ وصوابٌ، ولهذا عقَّبَ على دمارِ ثمود بقوله: ﴿وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا﴾ [الشمس: ١٥].

﴿فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ﴾ [الأعراف: ٧٨]. صرعى لا أرواح فيهم، ولم يفلت منهم أحدٌ، لا صغير ولا كبير، ولا ذكر ولا أنثى إلا جارية كانت مُقعدَة - واسمها: كلبة ابنة السَّلق. ويقال لها: الزريقة.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وكانت كافرةً شديدة العداوة لصالح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ فلما رأت ما رأت من العذاب أُطلقت رجلاها، فقامت تسعى كأسرع شيء، فأتت حيًّا من الأحياء، فأخبرتهم بما رأت وما حلَّ بقومها، ثم طلبت منهم شربة ماء فلما شربت ماتت.

قال تَعَالَىٰ: ﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ﴾ [الأعراف: ٧٨]

وقال تَعَالَىٰ: ﴿فَنَادَوْا۟ صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَىٰ فَعَقَرَ ﴿٢٩﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿٣٠﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَكَانُوا۟ كَهَشِيمِ ٱلْمُحْتَظِرِ﴾ [القمر: ٢٩ - ٣١].

أما الذين آمنوا بسيدنا صالح، فكانوا قد غادروا المكان مع نبيهم ونجوا، ... قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَٰلِحًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَمِنْ خِزْىِ يَوْمِئِذٍ ۗ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْعَزِيزُ ﴿٦٦﴾ وَأَخَذَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ٱلصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دِيَٰرِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٦٧﴾ كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا۟ فِيهَآ ۗ أَلَآ إِنَّ ثَمُودَا۟ كَفَرُوا۟ رَبَّهُمْ ۗ أَلَا بُعْدًا لِّثَمُودَ﴾ [هود: ٦٦ - ٦٨].

صالح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ يُخاطبهم بعد هلاكهم

لقد خلتْ ديارُ ثمود منهم، وأصبحت خاوية، كأن لم يكنْ بها ساكنون يتحرَّكون. وذهبت ثمودُ إلى عذابِ الله، وخلَّفوا وراءَهم

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

بيوتهم وممتلكاتهم، التي أقاموا فيها ما أقاموا ... وها هم قد غادروها مُكْرَهين مُعذَّبين، كأن لم يغْنواولم يقيموا فيها.

ألا بُعدًا لثمود، وسُحقًا لهم، وتَبًّا وخسارةً لهم، وخِزيًا وذُلًّا لهم، وهذه هي النهايةُ التي يستحقونها بسببِ كفرهم وطغيانهم،وهي نفسُها نهايةُ كل قومٍ كافرين.

ووقفَ صالحٌ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ على أطلال قومه المُعذَّبين، وشاهدَ جُثثهم صرعي كهشيم المحتظِر، فعقَّب على هذا قائلًا لهم وهم أموات: ﴿يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّى وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ ٱلنَّٰصِحِينَ﴾ [الأعراف: ٧٩].

لقد قامَ صالح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ بواجبه نحو قوم ثمود، وبلَّغهم رسالةَ الله، ونصحَ لهم، وأخلصَ في نُصحه، وهذا كلُّ ما يملكه تجاههم.

أمَّا هُم فقد أغلقوا أمامَ نُصحه قلوبَهم، ورفضوا دعوتَه لهم، فوقع بهم العذاب!!

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الدروس المستفادة من القصة

- أن المسلم لابد أن يعتبر بما حدث لمن قبله فيكون ذلك سببًا لاستقامته على أمر الله جَلَّوَعَلَا ... فقد رأينا كيف أن قوم ثمود لم يعتبروا بما حدث لقوم عادٍ فهلكوا كما هلكت قوم عاد.

- أن الشكر يجلب المزيد .. فلو شكر قوم ثمود ربهم جَلَّوَعَلَا على نعمه التي أنعم بها عليهم لكان ذلك سببًا لسعادتهم ولكنهم كفروا بالله وجحدوا نعمه فاستحقوا العذاب.

- أن أكثر الأمم الكافرة رفضت قبول الحق لأنهم كانوا يتمسكون بدين الآباء والأجداد ولو كانوا على الشرك والكفر ... أما المسلم فلا يتبع إلا رجلًا واحدًا وهو رسول الله محمد بن عبد الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ.

- أن أعداء الدين إذا لم يجدوا عندهم حُجة يَردُّون بها على أهل الحق لجأوا إلى الاتهامات الساذجة الكاذبة.

- أن الله عَزَّوَجَلَّ يؤيد رسله بالمعجزات ليثبتهم ويكبت أعداءهم.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

- أن الدالَّ على الخير كفاعله .. وكذلك الدَّالُّ على الشر كفاعله، فمن دلَّهم على قتل الناقة ومَن رضي بقتلها مُشاركٌ لهم في الجريمة.

- أن العاقبة دائمًا تكون لأهل الإيمان والتقوى .. فقد نجَّى الله أهل الإيمان وأهلك أهل الشرك والكفران.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قِصَّةُ

كلب أصحاب الكهف

فقد كان أهل مدينة أفسوس يكفرون بالله ويعبدون الأصنام والأوثان ويسجدون لها من دون الله جَلَّوَعَلَا على الرغم من تلك النِّعم العظيمة التي أسبغها الله عليهم ... وتلك الحضارة التي وصلوا إليها .. ومع ذلك فقد تركوا عبادة الله عَزَّوَجَلَّ وذهبوا يسجدون لأحجارٍ لا تنفع ولا تضر.

وكان حاكم هذه المدينة رجلًا ظالمًا وكافرًا اسمه «دقيانوي» .. فقد كان يأمر الناس بعبادة الأصنام وبأن يذبحوا ويُقدموا القرابين لتلك الأصنام.

وكان إذا رأى أحدًا يعبد الله جَلَّوَعَلَا ولا يعبد الأصنام يُعذبه عذابًا شديدًا لدرجة أنه كان إذا رأى رجلًا مؤمنًا كان يضعه في السجن ويُطلق عليه أسدًا جائعًا ليأكله.

وفي يوم من الأيام خرج أهل هذه المدينة إلى عيدٍ من أعيادهم.. فخرج هؤلاء الفتية معهم ونظروا إلى قومهم وهم يسجدون ويذبحون للأصنام ... فألقى الله نور الإيمان في قلوب هؤلاء

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الشباب - وكانوا من سادة القوم - فتركوا قومهم في هذا العيد واعتزلوهم.

فذهب أول واحدٍ منهم وجلس بعيدًا تحت ظل شجرة ثم أتى إليه الثاني فالثالث .. إلى أن اجتمع السبعة.

وكان كُلٌّ واحدٍ منهم يكتم إيمانه خوفًا من أصحابه حتى لا يخبر أحدهم هذا الملك الظالم فيجعله طعامًا للأسد.

وفجأة قام واحدٌ منهم وقال: تعلمون والله ما أخرجكم من قومكم إلى هذا المكان إلا شيء في صدوركم، فتعالوا نتصارح فيما بيننا.

ثُمَّ قال: أما أنا فإني أرى أن قومنا على الباطل ... فهم يصنعون تلك التماثيل بأيديهم ثم يسجدون لها من دون الله .. وهي التي لا تسمع ولا تُبصر ولا تنفع ولا تضر ... فكيف يسجدون لتلك الأصنام ولا يسجدون لله الذي خلق السماوات والأرض ورفع السماء بغير عمدٍ وجعل فيها الشمس والقمر وزيَّنها بالنجوم.

فقال الثاني: صدقت يا أخي فلقد خطر ببالي كل ذلك وقلت في نفسي: أليس الله جَلَّ وَعَلَا الذي خلق البحار والأنهار

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

والجبال والأشجار وأنعم علينا بكل هذه النعم هو الذي يستحق أن نعبده ونُوحده.

وقال الثالث: صدقتما ... كيف نعبد أصنامًا من دون الله الذي خلق الكائنات كلها وأبدع خَلقَها وسخَّر الكون كله لنا ثم نعبد غيره ... هذا لا يكون أبدًا..

وتكلم الباقون مثل كلامهم ثم قالوا جميعًا: ﴿رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ لَن نَّدۡعُوَاْ مِن دُونِهِۦٓ إِلَٰهٗاۖ لَّقَدۡ قُلۡنَآ إِذٗا شَطَطٗا﴾ [الكهف: ١٤].

فتصارحوا وأعلنوا إيمانهم فيما بينهم وصاروا يدًا واحدة وأصبحوا إخوانًا متحابين في الله جَلَّوَعَلَا.

واتخذوا لأنفسهم معبدًا يعبدون الله فيه بعيدًا عن قومهم.

وظلَّ كل واحدٍ يخوض فيما يخوضُ فيه القوم، ويضطرب فيما يضطرب فيه الناس؛ حتى إذا ما خلا بنفسه، واجتمع مع قلبه، اتَّجَهَ إلى الله عابدًا مُصَلِّيا، ومنزِّهًا ومُقدِّسًا.

ولكن بعد فترة يسيرة عرف قومهم أنهم آمنوا بالله جَلَّوَعَلَا فأخبروا هذا الملك الظالم.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

فلما علم الملك بإيمان هؤلاء الشباب أرسل إليهم فجاءوا إليه وهم يخشون أن يفعل بهم كما فعل بمن سبقهم للإيمان بأن جعلهم طعامًا للأُسود.

ولكن الله ثبَّتهم وربط على قلوبهم فقالوا كلمة الحق أمام هذا الحاكم الظالم ودعوه إلى الله جَلَّوَعَلَا.

فتعالوا بنا لنرى ماذا صنع معهم هذا الملك الظالم الذي يعبد الأصنام من دون الله جَلَّوَعَلَا.

قال لهم الملك: لقد علمت أنكم صبأتم وتركتم دين الآباء والأجداد ودخلتم في دينٍ آخر .. ولو كنتم من عامة الشعب لتركتكم وشأنكم ولكنكم من أشراف القوم ولو علم الناس بدينكم لاتبعوكم ودخلوا في دينكم ... وفي ذلك إفسادٌ لتلك المملكة وضياعٌ لمُلكي.

واعلموا أني لن أتعجل في عذابكم بل سأترككم لتفكروا في شأنكم وتُراجعوا أنفسكم ... فإما أن ترجعوا إلى ديننا وإما أن أُمزق أجسادكم إلى أشلاءٍ لتكونوا عبرة للناس من حولكم.

فربط الله على قلوبهم وثبَّتهم فقالوا: أيها الملك إن هذا الدين

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

لم ندخل فيه مُقلدين ولا مُكرَهين بل دعتنا إليه الفطرة السليمة التي جعلها الله في قلوبنا، ولن نعبد إلا الله الذي خلق السموات والأرض، وأسبغ علينا نِعَمه ظاهرة وباطنة .. وأما قومنا فقد عبدوا تلك الأصنام تقليدًا للآباء من غير حُجَّة ولا بُرهان ... وإنَّا ندعوك أيها الملك إلى عبادة الله الواحد القهار ليجمع الله لك سعادة الدنيا والآخرة، فإن كنت لا تريد عبادة الحق جَلَّوَعَلَا فنحن لن نترك عبادته طرفة عين فافعل بنا ما تريد فإن عذاب الدنيا أهون من عذاب الآخرة.

فغضب عليهم الملك، وأمر بنزع لباس الزينة عنهم الذي كان عليهم من زينة قومهم، وهددهم إن لم يعودوا إلى دين قومهم.

ثم أجَّلهم لينظروا في أمرهم لعلهم يرجعون، وكان هذا مِن لُطف الله بهم لأنهم توصلوا بهذا التأجيل إلى الهرب والفرار بدينهم من الفتنة.

فكَّر أولئك الفتية المؤمنون في الخطوة التالية، فوجدوها في العزلة، فقرروا اعتزال قومهم.

إنهم مؤمنون، وقومهم كافرون، ولا مجال لأن يعيشوا معهم.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

خرجوا من المدينة إلى الجبال، وقرروا أن يأووا إلى كهفٍ في جبل.

وكان معهم نقودٌ قد نُقِشَ عليها اسم هذا الملك الظالم الذي هددهم بالقتل إن لم يرجعوا عن دينهم.

ودخلوا الكهف ولم يدخل معهم الكلب؛ لأنه نجس وقد يلمس ثيابهم أو أبدانهم فيُنجسها .. فقرروا أن يجعلوه حارسًا على باب الكهف .. فيحرسهم من اللصوص ومن أتباع الملك وجنوده إذا جاؤوا بحثًا عنهم وليدافع عنهم إذا جاءتهم حية أو ثعبان أو أسدٌ أو غير ذلك .. وهم يعلمون أن الكلب يُضرَب به المثل في الوفاء .. فهو لا يتخلى أبدًا عن خدمة صاحبه وحراسته والدفاع عنه حتى لو كانت حياته فداءً لصاحبه.

أما هؤلاء الشباب المؤمنون فقد دخلوا الكهف وقالوا: ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا﴾ [الكهف: ١٠]. وكانت الرحلة من «أُفسوس» إلى الكهف طويلة فشعروا بالتعب الشديد وناموا على الأرض لينالوا قسطًا من الراحة بعد رحلة الفرار إلى الله جَلَّوَعَلَا.

وطلبوا من الله أن ينشر عليهم في الكهف من رحمته.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

واستجاب الله لهم، فكانت رحمةُ الله عليهم في الكهف، حيث يَسَّر الله لهم الأمر، وسَخَّر لهم الآيات. فأمر الشمس أن لا تمسَّ أجسادهم، حتى لا تؤذيها، ... كانت عند الصباح تَميلُ عن أجسادهم، فلا تقع عليها، وكانت عند الغروب تميل عنها كذلك، فلا تأتيها، وكانوا في فجوة وسط الكهف.

ومعنى هذا أن الشمس كانت تدخل الكهف فتقضي على الجراثيم والميكروبات وتُغير ذلك الهواء حتى لا يفسد ولا تتسلط أشعتها عليهم مباشرة حتى لا تحترق أجسادهم ولا ملابسهم وإنما ينتفعون بحرارتها وأشعتها ودفئها دون أي ضرر.

ومن آيات الله عليهم في الكهف: أن عيونَهم كانت مفتوحة، فكان الناظر إليهم يحسبهم أيقاظًا ينظرون إليه، مع أنهم نِيامٌ راقدون.

وحتى لا تأكل الأرض أجسادهم، كان الله يقلِّبهم مرة على اليمين، ومرة على الشمال.

وكان معهم كلبهم الذي صحبهم، حيث جلس على عتبة باب الكهف، وبسط ذراعيه، ونام مثل نومتهم.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وحتى لا يعتدي أحدٌ عليهم وهم رُقودٌ، قذف الله في قلب كل من ينظر إليهم الرعب، بحيث لو اطَّلع عليهم، لولَّى منهم فِرارًا، ولَمُلِئَ منهم رُعبًا.

ونامـوا نومتهم الطويلة، حيث بقوا على هذه الصورة ثلاثمائة وتسع سنوات!

وكان الفتية قد ناموا تلك السنوات الطويلة دون طعامٍ أو شرابٍ .. ومع ذلك لم يموتوا ولم يشعر أحدٌ منهم بجوعٍ أو عطش .. وكل ذلك بقدرة الخالق جَلَّوَعَلَا.

وتعاقبت الأيام ومضت الأعوام ... وبعد هذا الزمان الطويل بعثهم الله عَزَّوَجَلَّ من نومهم، وقد تغير كل شيء في هذا الكون..

فقد مات أقوام ووُلد آخرون وقامت دول وسقطت دول ومات ملوكٌ وجاء آخرون .. تغيرت الأرض بكلِّ ما عليها ومَن عليها.

لقد بعثهم الله من نومهم فقاموا من نومهم وهم يشعرون بتعبٍ شديدٍ في أجسادهم ... وأخذوا يتساءلون فيما بينهم عن المدة التي أقاموها في الغار: ﴿قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْۖ قَالُواْ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾ [الكهف: ١٩].

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ظانِّين أن الزمن لم يمضِ بهم، وأن عجلة التاريخ واقفةٌ عند كهفهم.

قال واحدٌ منهم يسأل: يُخَيَّلُ إليَّ أن ساعاتٍ طويلة رقدناها، فما تظنون يا رفاق؟

قال الثاني: ربما نكون قد لبثنا يومًا، فإنَّ هذا الجوع الذي نُحِسُّه، والتَّعب الذي نشعر به، لَيُؤذِن بما أظن.

وقال الثالث: نحن قد رقدنا في الصباح، وهذه الشمس لم تغرب فما أظن إلا أننا قد لبثنا بعضًا من يوم.

وقال الرابع: دعونا من تساؤلكم، فالله أعلم بما لبثتم، ولكنني أحس جوعًا شديدًا، وكأني لم أطعَم منذ ليالٍ، فليذهبْ واحدٌ منكم إلى المدينة يلتمس لنا طعامًا.

ولكن عليه أن يكون حَذِرًا حتى لا يعرفه أحد .. فإنهم لو عرفوه وعرفوا مكاننا فسوف يقتلوننا أو يفتنونا عن ديننا.

﴿فَٱبۡعَثُوٓاْ أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمۡ هَٰذِهِۦٓ إِلَى ٱلۡمَدِينَةِ فَلۡيَنظُرۡ أَيُّهَآ أَزۡكَىٰ طَعَامٗا فَلۡيَأۡتِكُم بِرِزۡقٖ مِّنۡهُ وَلۡيَتَلَطَّفۡ وَلَا يُشۡعِرَنَّ بِكُمۡ أَحَدًا ١٩ إِنَّهُمۡ إِن يَظۡهَرُواْ عَلَيۡكُمۡ يَرۡجُمُوكُمۡ أَوۡ يُعِيدُوكُمۡ فِي مِلَّتِهِمۡ وَلَن تُفۡلِحُوٓاْ إِذٗا أَبَدٗا﴾ [الكهف: ١٩-٢٠].

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

فخرج واحدٌ منهم باحثًا عن الطعام .. وفي يديه تلك العملات الفضية التي نُقش عليها صورة ذلك الملك الظالم الذي كان يعيش في تلك المدينة ويحكمها منذ أكثر من ثلاثمائة عام.

فلما مشى في طُرقات المدينة وجد أن المدينة قد تغيرت معالمها كلها .. فالناس ليسوا هم الناس، والطرقات ليست هي الطرقات التي يعرفها .. والبيوت غير البيوت..

هذه خرائب أضحت قصورًا، وتلك قصور أمست خرائب وأطلالًا، وتلك وجوه لم يعرفها، وصور لم يألفها:

أمَّا الدِّيار فإنها كديارهمْ

وأرى رجال الحي غيرَ رِجَالِهِ

أخذ يفكر في نفسه ... هل ذهبنا إلى بلادٍ أُخرى ونحن نائمون .. أم دارت الأرض من تحتنا ونحن لا نشعر ... تحيرت نظراته وكثرت لفتاته وظهر عليه الاضطراب والحيرة حتى بدأ الناس ينظرون إليه في دهشة واستغراب.

قال له أحدُهم: أغريبٌ أنت عن هذا البلد؟ وفيم تتأمل؟ وعلامَ تبحث؟ قال: لست غريبًا، ولكنني أبحث عن طعام

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

أشتريه، فلا أرى مكانَ بيعه، وأخذ الرجل بيده حتى انتهى به إلى المطعم وطلب من البائع طعامًا، فنظر إليه البائع متعجبًا لمنظره.

فلما جهز له الطعام وطلب منه ثمن الطعام، أعطاه الشاب تلك الفلوس الفضية التي كان عليها صورة دقيانوس: فتعجب البائع، وقال له: من أين لك هذا المال؟

فقال الشاب: إنه المال الذي نتعامل به .. وهذه صورة دقيانوس.

فقال البائع: هل أنت مجنون .. إن دقيانوس - عليه لعنة الله - مات منذ أكثر من ثلاثمائة سنة.

فتعجب الشاب وهو يسمع هذا الكلام وأحسَّ بأن الدماء قد تجمدت في عروقه، فتجمع الناس حول هذا الشاب.

وبدأ الناس يسألونه: هل عثرت على كنزٍ أيها الفتى؟ إنها عُملة قديمة قد مرَّ عليها أكثر من ثلاثمائة سنة.

أحسَّ الشاب بأن الدماء قد توقفت في عروقه وقال لهم: يا قوم ليس الأمر كما تظنون ... وليست هذه النقود كنزًا حصلت عليه وإنما هي نقود أخذتها من والدي أمس وأريد أن أشتري بها طعامًا اليوم فما الذي يدعوكم إلى الدهشة؟

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ثُـمَّ هَـمَّ بالعـودة؛ خشـيةَ أن يقتضـح أمـره، أو تظهـر حقيقة حالـه، ولكنهم عادوا فرفقوا به؛ وتلطَّفُوا معه في القول، وحاوروه في الحديـث، ومـا كان أشـدّ ذهولهـم حينما علمـوا أنه أحـد الفتية الأشراف؛ الذين هربوا من تسـعٍ وثلاثمائة سـنة مـن مَلِكِهم الجائر الكافـر؛ وأنهـم هـم الذين طلبهم الملـك فلم يظفر بهم، ونشـدهم فلم يهتدِ إليهم، وما كان أشـد خوف الشـاب حينما علم أنهم فطنوا لأمره، وعرفوا قصَّته، فخاف على نفسه وإخوانه، وهمَّ بالهروب.

قـال لـه أحدهـم: لا تَـخف يا هـذا، إن الملك الـذي تخافه قد مات من نحو ثلاثمائة عام، وإن الملك الذي يجلس الآن مؤمن بالله كما تؤمنون.

وأخذوه إلى ملكهم، فسأله عن شأنه فأخبره بأمره وهو متحير في حالـه ومـا هو فيه فقام ملك البلد وأهلهـا .. حتى انتهى بهم إلى الكهف فقال لهم: دعوني أتقدمكم في الدخول لأُعلم أصحابي ... فدخـل، فيُقال: إنهم لا يـدرون كيف ذهب فيه، وأخفى الله عليهم خبرهـم، ويُقال: بل دخلـوا عليهم ورأوهم، وسـلَّم عليهم الملك واعتنقهـم وكان مسـلمًا فيما قيـل، ففرحوا به وآنسـوه بالكلام، ثم ودَّعوه وسلَّموا عليه، وعادوا إلى مضاجعهم وتوفاهم الله عَزَّوَجَلَّ.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

فاختلفوا فيهم، وتنازعوا بينهم أمرهم، ماذا يفعلون بهم؟ فمنهم من قال: ابنوا عليهم بنيانًا، ربهم أعلم بهم.

ولكن الحاكمين فيهم قرروا أن يبنوا عليهم مسجدًا. وهكذا كان، حيث تمَّ بناء المسجد عليهم!

وهذا خطأٌ كبير؛ لأنَّ النبي ﷺ نهى عن اتخاذ القبور مساجد يُصلَّي فيها.

إلَّا أن أعظم درسٍ في هذه القصَّة الجميلة أن ذلك الكلب الذي أحب هؤلاء الشباب المؤمن وصحبهم قد سَعِدَ بصحبتهم حتى ذكره الله عَزَّوَجَلَّ في كتابه.

فإن كان ذلك الكلب قد سَعِدَ بصحبة أهل الإيمان ... ألا يحرص أحدنا على صحبة أهل الإيمان والتوحيد ليسعد في الدنيا والآخرة.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الدروس المستفادة

- أن قصة أصحاب الكهف وإن كانت عجيبة إلا أنها ليست من أعجب آيات الله فإن الله على كل شيء قدير.
- أن الله يصطفي ويختار عباده المؤمنين الذين يُشرفهم بعبادته ... وقد رأينا كيف اصطفى الله هؤلاء الفتية ليكونوا من عباده الموحدين.
- أن العبد إذا خشي الفتنة في دينه فإنه ينبغي عليه أن يكتم إيمانه.
- أن الله هو الذي يربط على قلب العبد ويُثبته على الإيمان.
- أن المسلم إذا أحسَّ بأنه سيفقد دينه في مكانٍ ما ... فعليه أن يفرَّ بدينه إلى أي مكان آخر، يتمكن فيه من عبادة ربه عَزَّوَجَلَّ.
- أن مَن ضحَّى بنفسه في سبيل الله وترك أهله وبلده ليعبد الله فإن الله يتولاه ويحفظه بحفظه.
- أن الهجرة من أجل الفرار بالدِّين خشية الفتنة من سُنن الأنبياء والمرسلين، فقد هاجر أبو الأنبياء إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، وقد

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

هاجر خاتم الأنبياء والمرسلين نبيُّنا محمد ﷺ، وغيرهما من الأنبياء.

النهي عن بناء المساجد على القبور، أو إدخال القبور في المساجد التي تُنسَب إلى الأولياء والصالحين ... وما أكثر الأضرحة في مساجد المسلمين وذلك بعد القرون المُفضَّلة، حيث انتشرت البدع والضلالات والشركيات، وأصبح يُطاف بهذه الأضرحة كما يُطاف حول الكعبة ويُستغاث بصاحب القبر، ويُنذَر له ويُدعَى من دون الله وغير ذلك من العبادات التي لا تكون إلا لله وحده لا شريك له ولا حول ولا قوة إلا بالله.

قدرة الله على الخلق والإماتة والبعث .. فإن الله على كل شيء قدير.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قِصَّةُ

دابة أصحاب الأخدود

وهـا هي قصة دابـة أصحاب الأخـدود ... تلـك الدابة التي كان موتها سـببًا في ثبات الغلام البطل على إيمانه .. بل وكانت سببًا في إظهـار كرامة هذا الغلام أمام الناس ليصدقوه وليكون سـببًا في إيمانهم بالله جَلَّوَعَلَا بعد ذلك.

فيـا تُرى مـا هي قصة هذه الدابة .. هذا ما سـنعرفه من خلال تلـك السـطور ... فتعالوا بنا لنتعايـش بقلوبنـا وأرواحنا مع هذه القصة الجميلة المؤثرة.

كان هناك ملك اسـمه «ذو نواس» وكان يعيش في بلدة تُسمَّى «نجران» في اليمن.

وكان هذا الملك عنده ساحر يعمل له كل ما يستطيع من الحِيَل والأعمال السحرية؛ لكي يُقنع الناس بأن الملك هو إله الكون الذي يستحق أن يُعبَد من دون الله جَلَّوَعَلَا.

وهذا الساحر في الحقيقة هو أهون الناس على الملك، فإذا وجد الملك مَن هو أفضل منه تخلَّى عنه في التوِّ واللحظة ... بل إن حَدَثَ

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

منـه أي شيء يُغضـب الملك فسرعـان ما يتحول الملـك إلى إعصارٍ مُدَمِّر يعصف بحياة الساحر بلا تَردُّد.

الساحر يطلب من الملك غلامًا يُعلمه السحر!!!

وفي يوم من الأيام كان السـاحر جالسًـا مع الملك كعادته فإذا به يقول للملك: أيها الملك .. لقد أصبحت كبيرًا في السـن وأشـعر بضعفٍ شـديد في صحتي ولم أَعُد أسـتطيع أن أُقدم إلا القليل من الحيل والأعمال السحرية.

الملك: وماذا تريد أيها السـاحر .. فأنا لا أسـتطيع أن أسـتغنى عنك لحظة واحدة .. فأنت الذي تجعل الناس يطيعوني بل ويعبدوني بفضل أعمالك السحرية؟؟

السـاحر: أنا لن أتخلى عنك أبدًا يا سـيدي .. لكني أخشى أن أموت فيموت السحر معي .. فأنا أريدك أن تبعث لي غلامًا صغيرًا ذكيًّا أُعلمه السـحر ليكون ساحرًا لك بعد موتى .. وبذلك أضمن أن يستمر السحر من بعدي.

والسـؤال الـذي يطرح نفسـه الآن: لماذا طلب السـاحر من الملـك أن يبعـث إليه غلامًـا صغيرًا ولا يبعث إليه شـابًّا أو شـيخًا كبيرًا؟!

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

والجواب: لكي يتعلم الغلام السحر من صغره ويبقى مع الملك أكبر وقتٍ ممكن ليخدمه في تنفيذ ما يريد .. ونحن نعلم جميعًا أن التعليم في الصِّغَر كالنقش على الحجر.

وأنا أتعجب من أمر هذا الساحر الذي عاش حياته كلها كافرًا بالله جَلَّوَعَلَا وعلى الرغم من ذلك بدلًا من أن يفكر في التوبة قبل أن يموت - فقد اقترب أجله - وإذا به يفكر كيف يستمر هذا الشر من بعده؛ ليكون ذلك في ميزان سيئاته من بعده .. كما قال النبي ﷺ: «**ومن سَنَّ في الإسلام سُنة سيئة فعليه وِزرُها ووِزرُ مَن عَمِلَ بها من بعده من غير أن يَنقص من أوزارهم شيء**».

الملك يختار غلامًا ليكون الساحر الجديد

المهم أن الملك وافق على طلب الساحر .. وعلى الفور أمر الملك أعوانه أن يبحثوا عن أذكى غلام في المملكة كلها ليكون ساحرًا للملك ... وبعد بحثٍ طويل وقع الاختيار على غلامٍ في قمة الذكاء .. وذهبوا به إلى الملك، فرحَّب به وأخبره أنه سيتعلم السحر على يد الساحر الكبير؛ ليكون بعد ذلك هو الساحر الخاص بالملك.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

فرح الغلام في بداية الأمر.. فهو الآن على أبواب الشهرة والثراء ... وذهب الغلام إلى الساحر في اليوم التالي، فوجد أن أعوان الملك قد أحضروا له ملابس جديدة وتركوا له أموالًا كثيرة، ففرح بذلك أشد الفرح وعلم أنه سيُصبح قريبًا من المشاهير الأثرياء في هذه المملكة.

وبدأ الساحر الكبير يُعلِّم الغلام السحر:

وبدأ الساحر الكبير يُعلم الغلام فنون السحر ... والغلام يتعلم منه كل يوم شيئًا جديدًا .. والهدايا والأموال تنهال كل يوم على الغلام؛ لكي يحب السحر ويُخلص في خدمة الملك بعد ذلك.

وتدبروا معي كيف أن الملك وكل مَن حوله يُجندون كل طاقاتهم ليصنعوا من هذا الغلام ساحرًا كافرًا .. ولكن الله عَزَّوَجَلَّ يريد أن يصنع منه مؤمنًا مُوحِّدًا بل وداعية إلى دين الله جَلَّوَعَلَا: ﴿وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ [يُوسُفَ: ٢١].

الغلام يسمع كلمات الراهب

وكان الغلام يذهب إلى الساحر كل يوم ليتعلم السحر على

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

يديه ... وكان الطريق من بيت الغلام إلى قصر الملك طويلًا وشاقًّا على الغلام.. فكان الغلام أحيانًا يجلس؛ ليستريح من التعب.

وبينما كان الغلام يومًا جالسًا ليستريح وإذا به يسمع صوتًا يصدر من بيتٍ صغير .. وكان صاحب الصوت شيخًا كبيرًا وإذا به يقول: لا إله إلا الله .. يا فاطر السماوات والأرض .. يا حي يا قيوم، اللهم اجعلني من عبادك الصالحين..

فتعجَّب الغلام من تلك الكلمات .. ولم يعلم ماذا يقصد هذا الشيخ الكبير بهذه الكلمات..

وانصرف الغلام وخاف أن يدخل على هذا الشيخ ليسأله .. ولكن الكلمات ظلَّت تتردد في عقل هذا الغلام.

ذهب الغلام إلى الساحر وبدأ يتعلم على يديه الدرس اليومي في السحر، فظل الغلام يسمع تلك الطلاسم السحرية والكلمات التي لا يفهم منها أي شيء .. وأخذ يقارن بين كلمات الساحر التي لا يفهمها أحدٌ .. وبين كلمات هذا الراهب الشيخ الكبير وهو يقول تلك الكلمات السهلة الجميلة، فأحسَّ الغلام لأول مرة ارتياحًا شديدًا لكلام الراهب.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وفي اليوم التالي جلس الغلام بجوار صومعة الراهب يستمع إليه وهو يدعو بتلك الكلمات الجميلة.

وأصبح الغلام يمر على صومعة الراهب وهو ذاهب إلى الساحر وكذلك وهو عائد إلى بيته .. حتى أحسَّ فجأة أنه يريد أن يدخل على هذا الراهب ليعرف مَن هو وماذا يصنع.

الغلام والراهب

وفي يومٍ من الأيام .. كان الغلام ذاهبًا إلى الساحر، فمرَّ على صومعة الراهب وسمعه وهو يقول: يا حي يا قيوم يا فاطر السماوات والأرض أنت الإله الحق، لا إله غيرك ولا ربَّ سواك .. أسألك باسمك الأعظم أن تغفر لي وترحمني.

فدخل الغلام عليه فجأة وهو يبكي ويقول: أشهد أن لا إله إلا الله.

فقال الراهب: مَن أنت أيها الغلام الصغير؟

فقال الغلام: أنا ساحر الملك الصغير .. وقد سمعتك وأنت تقول هذه الكلمات الجميلة فتأثرت وأردت أن أعرف مَن هو هذا الإله الذي تعبده.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

فقال الراهب: إنه الله الذي خلقنا ورزقنا وأسبغ علينا نعمه ظاهرة وباطنة.

فقال الغلام: إن الناس يقولون إن الملك الذي يحكمنا هو الله.

فقال الراهب: يا بُني! إن الملك ما هو إلا بشرٌ ضعيف لا يملك لنفسه ولا لغيره ضرًّا ولا نفعًا .. إنه بشر يحتاج إلى الماء والطعام والدواء، فهو يخدع الناس ويقول: إنه إله .. وليس هناك إلهٌ إلا الله.

فانشرح صدر الغلام وقال للراهب: علمني كيف أعبد الله جَلَّ وَعَلَا.

الغلام يتعلم من الراهب

فأخذ الراهب يُعلم الغلام كيف يعبد الله وكيف يذكره وكيف يُوحده، فأصبح الغلام مُسلمًا عابدًا لله جَلَّ وَعَلَا.

أصبح الغلام بعد ذلك يكره لقاء الساحر لكنه يذهب إليه؛ لأن الملك أمره بذلك.

وعلى الرغم من أنه يذهب للساحر إلا أنه أصبح زاهدًا في تَعلُّم السحر .. فقد علم أن هذا الساحر كذَّاب ودجَّال وأنه هو والملك على باطل.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وفي المقابل أصبح الغلام يشتاق كل لحظة للقاء الراهب ليتعلم منه كيف يعبد ربه ويوحده.

فكان كلما ذهب إلى الساحر ضربه؛ لأنه تأخر عليه .. وكلما ذهب إلى أهله ضربوه لأنه تأخر عليهم .. فشكا ذلك إلى الراهب فقال له الراهب: إذا سألك الساحر لماذا تأخرت؟ فقل: حبسني أهلي .. وإذا سألك أهلك لماذا تأخرت؟ فقل: حبسني الساحر.

وبذلك تخلَّص هذا الغلام من بطش الساحر وأهله.

الغلامُ الصغير يقتل أسدًا!!!

وفي يوم من الأيام كان الغلام في طريقه إلى الراهب، فوجد الناس مذعورين خائفين .. فنظر فوجد أسدًا كبيرًا قد قطع الطريق على الناس .. فاغتنم الغلام هذه الفرصة وقال في نفسه: اليوم أعرف وأتيقن أيهما أفضل عند الله: الساحر أم الراهب.

فأخذ الغلام حجرًا صغيرًا وقال: اللهم إن كان أمر الراهب أحب إليك من أمر الساحر، فاقتل هذا الأسد حتى يمضي الناس .. فرمى الحجر فقتل الأسد ومضى الناس وهم يظنون أن الغلام قتل الأسد بسبب نبوغه في السحر.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ولذلك علينا أن نتخيل هذا المشهد: غلامٌ صغير، لا يستطيع أن يحمل إلا حجرًا صغيرًا فكيف يضرب الأسد بذلك الحجر الصغير فيموت؟!

إن الحجر الذي أمسك به الغلام لا يقتل فأرًا صغيرًا، فضلًا عن أن يقتل أسدًا كبيرًا .. لكنها كانت كرامة من الله أكرم بها هذا الغلام؛ لأنه لجأ إلى الله وتوكل عليه .. وفي نفس الوقت أراد الله عَزَّوَجَلَّ أن يُعرفه طريق الخير من طريق الشر ليكون على يقين من أنه على الحق فيبذل من أجله كل ما يملك حتى نفسه التي بين جنبيه.

الراهب يخبر الغلام بأنه سيُبتلى

ثم ذهب الغلام إلى الراهب وأخبره بما حدث.

فقال له الراهب: أي بُني أنت اليوم أفضلُ مني ... قد بلغ من أمرك ما أرى .. ولكن اعلم أنك ستتعرض لابتلاءٍ شديد، فإذا وقعت في هذا البلاء فلا تَدُلَّ الناس على مكاني ولا تخبرهم عني.

وهذا درسٌ عظيم في التواضع؛ لأن الراهب أفضل من الغلام - بلا شك - فهو الذي علَّمه التوحيد ولقَّنه العلم وعلى الرغم من ذلك يقول له: أنت اليوم أفضل مني.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

شفاء المرضى على يد الغلام - بإذن الله -

وقد أجرى الله على يد الغلام شفاء المرضى، وإبراء الأكمه والأبرص، وكان يخبر الناس أن الشافي هو الله، وأن مَن آمن بالله فإنه يشفيه ... فكان يتخذ من المعالجة طريقًا لنشر الإيمان والتوحيد.

إسلام جليس الملك على يد الغلام بعد شفائه

فسمع جليس الملك – وكان أعمى – أن هناك غلامًا يداوي الناس من كل الأمراض.

فما كان من جليس الملك إلا أن أحضر الهدايا الثمينة والأموال الكثيرة وذهب لهذا الغلام فوجد زحامًا شديدًا على بابه فاستأذن من هؤلاء الناس ودخل على الغلام .. وإذا بالمفاجأة الكبرى!!

لقد علم جليس الملك أن الغلام الذي يداوي الناس من الأمراض هو ساحر الملك .. فقال له جليس الملك: لقد جمعت لك كل هذه الهدايا والأموال على أن تشفيني وترد إليَّ بصري.

فقال له الغلام: إني لا أشفي أحدًا إنما يشفى الله فإن أنت آمنت بالله دعوتُ الله فشفاك...

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

هكذا بدأ الغلام يضع بذرة التوحيد في قلب جليس الملك ليعلم أن الله وحده هو النافع الضار وأنه بيده مقاليد السماوات والأرض وأنه هو وحده الذي يملك الشفاء.

والفائدة الثانية: أن الداعية الصادق يستثمر حاجة الناس في دعوتهم إلى الله عَزَّوَجَلَّ.

ولكن جليس الملك كان مُترددًا، فقال للغلام: ومَن هو الله؟

فقال الغلام: الله الذي خلقنا جميعًا وخلق الكون كله .. وهو الذي سيشفيك من مرضك إن آمنت به ودعوته.

جليس الملك: أليس ملك البلاد هو الله؟

الغلام: كلا .. إنه عبدٌ ضعيف ولو كان إلهًا لشفاك ولكن إن كنت في شكٍّ، فاذهب الآن إلى الملك واطلب منه أن يَرُدَّ إليك بصرك.

فتيقَّن جليس الملك أن الملك عبدٌ ضعيف، لا يملك لنفسه ولا لغيره ضرًّا ولا نفعًا.

فرفع جليس الملك رأسه إلى السماء وقال: أشهد أن لا إله إلا الله.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

فقام الغلام فدعا الله أن يشفى جليس الملك وأن يَرُدَّ عليه بصره.

فشفاه الله وردَّ إليه بصره .. فصرخ جليس الملك من شدة الفرح وهو يردد: أشهد أن لا إله إلا الله .. أشهد أن لا إله إلا الله.

فقال له الغلام: لا تُخبر الملك عني ولا تدله عليَّ.

فوعده جليس الملك بذلك، ثم خرج وهو في قمة السعادة.

فلما أسلم جليس الملك ذهب إلى زوجته وأولاده وهو في قمة السعادة لأن الله عَزَّوَجَلَّ قد رَدَّ عليه بصره ... وفرحت زوجته وفرح أولاده فرحًا شديدًا ... لكنه لم يخبرهم بقصة إسلامه على يد الغلام لأنه وعده بذلك.

الملك يعلم بإسلام جليسه ويُعذبه

وفي اليوم التالي جاء أحد حُرَّاس الملك إلى قصر جليس الملك الذي رَدَّ الله عليه بصره وأخبره أن الملك يطلب لقاءه فذهب معه دون أن يحتاج إلى مَن يقوده في طريقه إلى الملك كما كان يفعل من قبل.

فلما دخل على الملك قال له الملك: هنيئًا لك على أنك عُدت مُبصرًا مرة أخرى.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

فقال جليس الملك: الحمد لله وحده على نعمة الشفاء من العمى.

فغضب الملك وقال له: وهل هناك إلهٌ في هذه المملكة غيرى؟

قال جليس الملك: الله الذي خلقك ورزقك وجعلك ملكًا وإذا أراد أن ينزع منك المُلك وأن ينزع منك كل شيء حتى روحك فإنه وحده القادر على ذلك.

جليس الملك يدل على الغلام

فما كان من الملك إلا أن أمر الحُراس أن يأخذوه ليُعذبوه حتى يدلهم على مَن جعله يُسلم ويدخل في دينٍ غير دين الملك.

فأخذوه وظلوا يعذبونه حتى دَلَّهم على الغلام.

ومع أن هذا الرجل كان جليسًا للملك إلا أن الملوك ليس عندهم وفاءٌ لمن حولهم .. فما إن تعارضت وجهة الجليس مع وجهة الملك وإذا به يأمر بتعذيبه في التوِّ واللحظة.

وجئ بالغلام أمام الملك ليعترف

«فجيء بالغلام، فقال له الملك: أي بُني قد بلغ من سحرك

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ما تُبرئ به الأكمه والأبرص وتفعل وتفعل. فقال: إني لا أشفي أحدًا إنما يشفي الله ... فأخذه فلم يَزل يُعذبه حتى دَلَّ على الراهب».

علم الملك أن الغلام وراء هذه الدعوة الجديدة في مملكته: دعوة التوحيد وإنكار ربوبية الملك ... فماذا يفعل هذا الطاغية لاحتواء هذه الدعوة؟

إن بطشه بالغلام الذي أحبَّه الناس وعرفوا إحسانه إليهم، وأنه هو الذي قتل الأسد، وأنه يُبرئ الأكمه والأبرص ويداويهم من سائر الأدواء.. سوف يزيد من محبته ويجعله بطلًا أو شهيدًا، ويُصبح موته وقودًا دافعًا لاستمرار دعوته؛ فلابد من محاولة الاستمالة أولًا، فهو يعرف جيدًا حقيقة دعوة الغلام وأنها تهدف إلى تحقيق العبودية لله وحده ونبذ عبودية الملك، مع ذلك يقول له: «أي بُني».

والنداء بالبُنوة أول محاولات الاستمالة والتلطُّف، فهو يقول له أنت ابني وأنا الذي توليت تربيتك، ثم يقول له: «قد بلغ من سحرك ما تُبرئ به الأكمه والأبرص وتفعل وتفعل».

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

فهو يريد أن يقول له: لا مانع عندي من استمرارك في ما تفعل، بشرط أن تقول للناس: إن هذا من السحر الذي تعلمته في مدرسة الملك، وأن ما تدعو إليه هو بتوجيهات الملك وتحت إشرافه وبرعايته، ... وهو يقول له ذلك وهو على يقين من أنه هو الذي قال لجليسه ولغيره ربي وربك الله، وأنه سُبْحَانَهُ الذي يشفي الناس.

الغلام يدل على الراهب .. والملك يقتل الراهب

رفض الغلام إذن أن يُسمِّي ما يفعله سحرًا، وأَبَى إلا أن يُجابه الملك بأن دعوته هي دعوة التوحيد الخالص بمقولته العظيمة: «إني لا أشفي أحدًا، إنما يشفي الله تَعَالَىٰ»، وفشلت محاولة الاحتواء وإلباس الحق ملابس الجاهلية ... فانكشف الملك على حقيقته ولجأ إلى الأسلوب المعتاد: البطش والتنكيل ... فجيء بالراهب، فقيل له: ارجع عن دينك فأبى، فدعا بالمنشار، فوضع المنشار في مفرق رأسه فشقَّه به حتى وقع شِقَّاه».

وهنا وصل الملك إلى النبع الذي استقي منه الغلام وجليس الملك «الإيمان والتوحيد»، فأراد الملك أن يُجفف هذا النبع

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وذلك بأن يتخلص منه ويقتله .. ولذلك لم يتكلم معه بنفس اللُّطف الـذي قابـل به الغلام في البداية بل قال لـه بكل صراحة ووضوح: ارجع عن دينك.

فأبَـى الراهـب أن يرجع عن دينه رغم أنه يعلم أنه سـيتعرض للعذاب الشديد.

فأمر الملك بقتل الراهب في التوِّ واللحظة.

وكان الذي شـجع الملك على قتل الراهب أنه لم يكن مشـهورًا ومعروفًا بين الناس ولذلك لن يعترض أحدٌ لقتله.

وقتله الملك أبشـع قتلة وذلك بأن أمر أن يُنشَر بالمنشار نصفين وعـلى الرغم من ذلك صـبر الراهب على هذه القتلة البشـعة؛ لأنه يعلم يقينًا أن موت الجسـد أهون بكثير من موت الإيمان والتوحيد في قلب العبد؛ لأن صاحب التوحيد لو قُتل عشر مرات فإنه سيحيا في جنات النعيم وسيَجبُر الله كَسْرَه في تلك الجنة التي فيها ما لا عينٌ رأت ولا أُذنٌ سـمعت ولا خطر على قلب بشر ... بل إنه سينسـى كل شقاء مع أول غمسة في جنة الرحمن.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الملك يأمر بقتل جليسه الذي أسلم

فجيء بجليس الملك فقيل له: ارجع عن دينك فأَبَى فوضع المنشار في مفرق رأسه فشقَّه به حتى وقع شِقَّاه».

لقد حدث لجليس الملك مثلما حدث للراهب ... لقد ذاق الرجل حلاوة الإيمان فهان عليه أن يُقدم حياته لله جَلَّوَعَلَا بدلًا من أن يعيش مُنعَّمًا في قصر الملك وهو بعيد عن الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَى.

المحاولة الأولى لقتل الغلام من أعلى الجبل

ثم جيء بالغلام فقيل له: ارجع عن دينك، فأَبَى، فدفعه إلى نفرٍ من أصحابه فقال: اذهبوا به إلى جبل كذا وكذا فاصعدوا به الجبل، فإذا بلغتم ذروته فإن رجع عن دينه، وإلا فاطرحوه ... فذهبوا به فصعدوا به الجبل، فقال: اللهم اكفنيهم بما شئت ... فرجف بهم الجبل فسقطوا، وجاء يمشي إلى الملك، فقال الملك: ما فعل أصحابك؟ قال: كفانيهم الله تَعَالَى.

لقد كان الملك حتى هذه اللحظة لا يريد أن يقتل الغلام؛ لأنه ما زال عنده بريق أمل في أن يستخدمه في السحر ويستفيد من

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

مواهبه وإمكانياته .. فاختار طريقة لقتله يستطيع الغلام من خلالها أن يفكر مرة أخرى.

طلب الملك من زبانيته أن يذهبوا بالغلام إلى أعلى الجبل ويعرضوا عليه أن يرجع عن دينه أو يُلقوه من قمة الجبل .. ومن المعلوم أنهم سيسيرون مسافات طويلة؛ لكي يفكر مرة بعد مرة.

ولكن الغلام .. كان الإيمان في قلبه ثابتًا ثبات الجبال الراسيات، فلم يضعف قلبه ولم ترتعد فرائصه لحظة واحدة بل كان يتمنى الشهادة في سبيل الله من أجل أن تحيا الأمة كلها على التوحيد والإيمان.

ولما صعدوا به فوق الجبل ما كان من الغلام إلا أن لجأ إلى الله وتوكل على الحي الذي لا يموت فقال بقلبه ولسانه: «اللهم اكفنيهم بما شئت» ولم يختر الغلام الطريقة التي ينجيه الله بها من كيد هؤلاء بل ترك الأمر لمالك المُلك وملك الملوك جَلَّوَعَلَا ليُدبر له الأمر ويُنقذه بالطريقة التي يراها هو سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ.

فما كان من الحق جَلَّوَعَلَا إلا أن أمر الجبل فتزلزل بهم الجبل وسقطوا جميعًا - وهم الرجال الأشداء الأقوياء - وبقى الغلام

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الصغير الضعيف في جسده القوي في إيمانه .. بقى الغلام سالمًا بأمر الله عَزَّوَجَلَّ.

إنه التوكل على الله وإنها الثقة في الله الذي بيده مقاليد الأمور.

وعاد الغلام إلى الملك مرة أخرى!!

وقد يسأل سائل ويقول: ما الذي جعل الغلام يعود إلى الملك مرة أخرى ولم يهرب مع أنه على يقين من أن الملك يريد أن يقتله؟!

والجواب: إن الغلام لا يريد النجاة لنفسه بل يريد الحياة لأمته، فهو يريد أن تنتصر العقيدة مهما كان الثمن، ولذلك رجع ليُعلِّم الكون كله أنه لن يكون إلا ما قدره الله.

فكان الغلام يريد أن يرجع إلى الملك؛ لأنه حريصٌ على هداية الأمة .. وهذا هو شأن الدُّعاة المخلصين الذين يتحملون كل أنواع الأذى والبلاء من أجل أن تحيا الأمة في ظلال التوحيد والإيمان.

ولك أن تتصور كم كانت دهشة الملك وهو يرى الغلام

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الصغير حيًّا يمشي إليه، وقد ذهب الجنود الأشداء الأوفياء لملكهم إلى غير رجعة!!

فيسأل الغلام متعجبًا: ما فعل أصحابك؟! فيقول الغلام: كفانيهم الله تَعَالَىٰ. فلم يُخبره بما جرى.

ولم يُعلق بكلمة واحدة على تلك الكرامة التي أكرمه الله بها ولكنه اكتفى بأن يذكر للملك بأن الله هو الذي كفاه شرَّ هؤلاء الرجال، فهو وحده الله الذي يستحق أن نتوكل عليه وليس أنت أيها الملك الضيعف الذليل.

المحاولة الثانية لقتل الغلام في البحر

فأرسله الملك مع نفرٍ من أصحابه، فقال لهم: اذهبوا به في سفينة صغيرة وتوسطوا به البحر، فإن رجع عن دينه وإلا فاقذفوه، فذهبوا به، فقال: اللهم اكفنيهم بما شئت؛ فانكفأت بهم السفينة فغرقوا، ورجع يمشي إلى الملك، فقال: ما فعل أصحابك؟ قال: كفانيهم الله تَعَالَىٰ.

وهنا لجأ الملك إلى حيلة أخرى لقتل الغلام .. ولكنه اختار أيضًا طريقة تجعل الغلام يفكر مرةً أخرى.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وكأن الملك حتى تلك اللحظة لم يعرف أن الغلام لو عُرض على القتل كل يوم مائة مرة، فلن يرجع عن دينه أبدًا.

فأمر الملك زبانيته أن يأخذوا الغلام إلى البحر ويهددوه بالرجوع عن دينه أو أن يقذفوا به في وسط البحر .. فأَبَى الغلام.

وبنفس الثقة في الله والتوكل على الله لجأ الغلام إلى الحق جَلَّوَعَلَا وقال: «اللهم اكفنيهم بما شئت» فما كان من أمواج البحر إلا أن تفاعلت مع تلك الكلمة - بأمر الله - ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾ [المدثر: ٣١].

فانكفأت السفينة وغرقوا جميعًا - وهم الرجال الأشداء الأقوياء - وحملت مياه البحر هذا الغلام الصغير ليصل إلى الشاطئ سالمًا غانمًا .. ومع ذلك لم يفكر أبدًا في الهروب بل عاد إلى الملك ليُعطي الكون كله درسًا في الثبات على الدين والإصرار على انتصار الإيمان والعقيدة.

فتعجَّبَ الملك .. كيف يعود الغلام هذه المرة أيضًا سالمًا.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وكان الملك يظن أن ربَّ الغلام الذي نجَّاه من على الجبل لن يستطيع أن يُنجيه من البحر .. فسأل الملك الغلام: «ما فعل أصحابك؟».

قال الغلام بثقة ويقين: «كفانيهم الله».

الغلام يخبر الملك بكيفية قتله

ثم تحوَّل الغلام من مأمورٍ إلى آمِر .. فقام يأمر الملك، فقال للملك: إنك لست بقاتلي حتى تفعل ما آمرك به.

قال الملك: وما هو؟

قال الغلام: تجمع الناس في صعيدٍ واحد، ثم تصلبني على جذعٍ، ثم خُذ سهمًا من كنانتي، ثم ضع السهم في كبد القوس، ثم قُل: «بسم الله ربِّ الغلام، ثم ارمني؛ فإنك إذا فعلت ذلك قتلتني».

لقد أحسَّ الملك بعجزه الشديد وأنه لا يستطيع أن يقتل هذا الغلام الصغير ولا حتى أن يكون سببًا في هروب الغلام وخروجه من مملكته؛ ليحفظ الملك ماء وجهه أمام رعيته الذين علموا بعجزه عن قتل غلامٍ صغير مع أنه يدَّعى أنه إله من دون الله عَزَّوَجَلَّ.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وهنا يتحول الغلام الصغير من مأمورٍ إلى آمرٍ .. يقوم الغلام ليأمر الملك ويقول له: «إنك لست بقاتلي حتى تفعل ما آمرك له».

الله أكبر!! يا لها من كرامة ... أن يتحول الغلام من مأمورٍ إلى آمرٍ بل ويخبر الملك بعجزه وضعفه عن قتله حتى يفعل الأمر الذي يوجهه الغلام إليه.

ولما كان الملك قد أحسَّ بأن وجود هذا الغلام أصبح خطرًا على مُلكه قال له بلهفة وشوقٍ: «وما هو؟» أي ما هو الأمر الذي يجعلني أستطيع أن أقتلك.

فقال له الغلام الذكي: «تجمع الناس في صعيدٍ واحد» وذلك ليرى الناس جميعًا هذا المشهد ويعلموا الحقيقة كلها ويعرفوا أنه لاشيء يحدث في الكون كله إلا بأمرٍ من الله عَزَّوَجَلَّ.

وقول الغلام للملك: «ثم تصلبني على جذع» ليُظهر للجميع الظلم الواقع على الغلام بدون جريمة ارتكبها إلا أن يقول ربي الله، وهذا بالتأكيد من أسباب ميل الناس إليه وتَعاطُفهم معه ومع دعوته؛ فقد فطر الله العباد على كراهية الظالم وعداوته والميل إلى المظلوم ومُناصرته.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

فإذا أُضيف إلى ذلك أنهم يعلمون عن المظلوم حُبّه للخير وحرصه على الإحسان إلى الناس، وجرَّبوه من قبل في قضاء حوائجهم، وكونه كان دائمًا مُستشعرًا لمشاكلهم ومُداويًا لأمراضهم - بإذن الله - في حين غابت مشاكلهم عن الملك وحاشيته ... فلا شك أن هذه الأمور مجتمعة تجعل هذا الجمع كله يعلم الظلم الواقع على الغلام، وعندما يتساءلون ما جريمته؟ يُقال: لا شيء إلا أنه يقول ربي الله.

فهكذا ينبغي أن يكون الدُّعاة إلى الله حريصين على ألا يكون لهم تُهمة إلا أن يقولوا: ربُّنا الله، مع إحسانهم إلى الناس ... وعليهم ألا يحزنوا من الظلم الواقع عليهم، فإنه قدَّره الله لِحِكَمٍ عظيمة لانتشار دينه وقبول الناس له، كما أنه سرعان ما يزول، فيكون لهم الأجر الجزيل عند ربهم.

وقول الغلام للملك: «ثم خُذ سهمًا من كنانتي» مزيد من إظهار عجز الملك وأنه ليس بيده الأمر، فلو أخذ سهمًا من كنانة الملك لم يقتل الغلام حتى يأخذه من كنانة الغلام؛ ليعلم الناس أن الأمرَ أمرُ ربِّ الغلام، وأن قتل الغلام كان بإرادته لا إرادة الملك.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وفي أمره للملك أن يقول: «بسم الله رب الغلام» إعلان بالعجز التام والافتقار القهري الاضطراري إلى الله سُبْحَانَهُ.

فإن قيل: ألم يكن الغلام يعلم باحتمال أن يقتل الملك الناس لو آمنوا؟ ... بل يغلب على ظنه ذلك، وهو يعلم عجز الناس عن الدفاع عن أنفسهم، فهو بالتالي قد ألزمهم الصبر على القتل خلافًا لما ذكرت؟

فالجواب: أن الموازنة هنا بين البقاء على الكفر مع الحياة أو الدخول في الإسلام مع القتل، ولا شك أن الدين مُقدَّم على النفس.

الغلام يموت لتحيا قلوب الأمة على التوحيد

فقام الملك وجمع الناس في صعيدٍ واحدٍ، وصَلَبَهُ على جذعٍ، ثم أخذ سهمًا من كنانته، ثم وضع السهم في كبد القوس، ثم قال: بسم الله رب الغلام، ثم رماه فوقع السهم في صدغه، فوضع يده على صدغه فمات، فقال الناس: «آمنا بالله رب الغلام».

فعل الملك ما أمره به الغلام .. وكان هذا الملك في غاية الغباء لأنه لو ترك الغلام يدعو الأمة إلى توحيد الله لما آمن معه إلا القليل

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ولكنه لما قُتل الغلام؛ آمنت الأمة كلها وقاموا جميعًا على قلب رجلٍ واحد فقالوا: آمنا بالله رب الغلام.

ورحل الغلام الشهيد عن دنيا الناس عزيزًا كريمًا .. هو الذي صدق الله فصدقه الله ... وآمنت الأمة كلها لتأتي يوم القيامة في ميزان حسنات الغلام ومن قبله الراهب الذي علَّم الغلام التوحيد لله جَلَّوَعَلَا ... وقُتل قبل أن يرى ثمرة دعوته .. وهذا أمرٌ يُحفز الدُّعاة على بذل وسعهم في الدعوة وإن لم يروا ثمرة دعوتهم في حياتهم، فقد تأتي الثمرة بعد موت الداعية.

الملك يأمر بإلقاء المؤمنين في النار

«فجاء حاشية الملك فقالوا له: أرأيت ما كنت تحذر؟! قد والله نزل بك ما كنت تحذر ... قد والله آمن الناس، فأمر بالأخاديد «الحُفر» بأفواه السكك فخُدَّت «أي حُفرت»، وأُضرم فيها النيران، وقال: مَن لم يرجع عن دينه فأقحموه فيها، ففعلوا ... حتى جاءت امرأة ومعها صبيٌّ لها، فتقاعست أن تقع فيها «أي ترددت وهمَّت أن ترجع»، فقال لها الغلام «أي ابنها الصبي»: يا أُمه! اصبري، فإنك على الحق».

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

نعم .. لقد قامت البطانة السيئة لتُخبر الملك بأن الأُمَّة قد آمنت بالله عَزَّوَجَلَّ، فما كان من الملك - الذي لا يملك الحُجة ولا الإقناع- إلا أن لجأ إلى البطش والعنف، فأمر زبانيته أن يحفروا الأخاديد في أفواه السِّكك حتى لا يترك مكانًا يستطيع الناس أن يهربوا منه.

وجيء بالموحدين الذين ذاقوا حلاوة الإيمان منذ ساعات معدودات وخيَّروهم بين الكفر وبين دخول نار الدنيا، فاختاروا جميعًا أن يموتوا على التوحيد والإيمان وأن يدخلوا نار الدنيا على أن يكفروا بالله عَزَّوَجَلَّ ويدخلوا نار الآخرة التي هي أشد من نار الدنيا سبعين مرة.

المشهد الأخير

ويأتي هذا المشهد الأخير المؤثر.

قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**حتى جاءت امرأة ومعها صبيٌّ لها فتقاعست أن تقع فيها، فقال لها الغلام: يا أُمَّه اصبري فإنك على الحق**».

ويا له من مشهدٍ مهيب أن يُنطق الله هذا الطفل الصغير، ليربط على قلب أمه ولتعلم يقينًا أنها على الحق.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وهكذا رحل هؤلاء الشهداء الأبرار عن دنيا الناس؛ ليَسعدوا بالنعيم المقيم في جنة الرحمن جَلَّ وَعَلَا.

ولقد ذكر الله قصتهم في سورة البروج، فقال تَعَالَى: ﴿قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ ﴿٤﴾ النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ ﴿٥﴾ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ﴿٦﴾ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ﴿٧﴾ وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴿٨﴾ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ﴾ [البروج: ٤ - ١٠].

أولئك هم أصحاب الأخدود الذين ذكرهم الله في كتابه وذكرهم الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في سُنته.

لم ينتقموا منهم ويحرقوهم إلا لأنهم آمنوا بالله ... وهذه هي سُنة الله في خلقه المؤمنين الموحدين.

ولا تزال الحرب بين الإيمان وأهله والكفر وأهله حتى يرث الله الأرض ومَن عليها.

نسأل الله أن يثبتنا على ديننا حتى نَلقَى نبينا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على حوضه يوم القيامة .... إنه ولى ذلك والقادر عليه.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الدروس المستفادة

- حرص أهل الشَّرِّ على استمرار شَرِّهم من بعدهم، كما حرص الساحر على تعليم مَن يرث علمه الفاسد، ليبقى هذا العلم حيًّا يُضلُّ به عباد الله.

- أن السحر من كبائر الذنوب ... ومن أهل العلم مَن ذهب إلى أن السِّحَر كُفرٌ؛ لأن السحر لا يتمُّ إلا مع الكفر وتعظيم الشيطان.

قال تَعَالَىٰ: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحۡرَ﴾ [البَقَرَة: ١٠٢]

- اختار الملك الغلام ليكون الساحر الذي يثبت دعائم ملكه، وأراد الله له أن يكون الداعية الصالح الذي يُدمر مُلكه، ويهدي الناس إلى الدين الحق، وفي ذلك آية للمعتبرين ... فالله يهيئ لدينه رجالًا.

- الإيمان لا يحتاج إلى وقتٍ طويل كي يستقر في القلوب، ويحيى النفوس، فالقوم الذين رضوا بعذاب النار لم يَكُن مضى

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

على إيمانهم ساعات قليلة، ... ومثل هؤلاء سحرة فرعون آمنوا، فلم يردعهم جبروت فرعون وعذابه عن الإيمان.

- قد يُجرى الله على يد بعض أوليائه كرامات يؤيده بها، ويثبت بها إيمانه ويقينه ... فالغلام لم يَكُن نبيًّا، وقد استجاب الله له في قتل الدابة، وأجرى على يديه إبراء الأكمه والأبرص، ومداواة المرضى، واستجاب دعاءه في تخليصه من القتل، والقضاء على أعوان الملك الذين أمرهم بقتله.

- التضحية بالنفس في سبيل الله ليست من الانتحار في شيء، فالغلام دَلَّ الملك على الطريقة التي يقتله بها ... والمؤمنون كان بعضهم يُلقَى في النار، وآخرون يقتحمونها، ولم يكن اقتحامهم لها انتحارًا، بل كان فيه إغاظة للظالمين، وإرضاء لله رب العالمين.

- شدة عداء أهل الكفر لأهل الإيمان ... فقد نشر أعوانُ الملك الراهب وجليس الملك بالمنشار، وأحرقوا الناس بالنيران.

- حفظ الله لأوليائه، وإذلاله لأعدائه، فقد حفظ الغلام من القتل، واستجاب دعاءه، فأهلك مَن أرادوا به سوءًا.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

- وجوب الصبر على الأذى في الله، كما صبر الراهب وجليس الملك والغلام، وكما صبر المؤمنون على الحرق بالنار.

- جواز الكذب في الحرب ونحوها، فقد أرشد الراهبُ الغلامَ إلى أن يدَّعي أن الكاهن حبسه إذا سأله أهله، وأن أهله حبسوه إذا سأله الكاهن.

- قد يضعف رجل العقيدة عن احتمال الأذى، وقد يبوح بأسرار لا يجوز له البوح بها من شدة العذاب ... فجليس الملك الذي ردَّ الله عليه بصره دَلَّ على الغلام تحت وطأة العذاب، والغلام دَلَّ على الراهب لما ناله من العذاب، ومع ذلك فلم يُنقص اعترافهما من مكانتهما، ولكنهما احتملًا العذاب الذي أدَّى بهما إلى الموت عندما طُلب منهما التنازل عن عقيدتهما، والكفر بالله.

- قد يكون التلميذ أفضل من شيخه ... فقد حقق الغلام ما لم يستطع الراهب تحقيقه، ويبقى للراهب فضل هداية الغلام.

- التضحية بالنفس في سبيل نشر الدعوة، حيث دَلَّ الغلام الملك على الطريقة التي يتمكن الغلام بها من إقناع الناس بالإيمان بالله، ولو كان الوصول لذلك على حياته هو.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قِصَّةُ

فيل أبرهة

وها هي قصة فيل أبرهة التي هي عجيبة من عجائب الدنيا ... ولذا ذكرها الله عَزَّوَجَلَّ في كتابه العزيز «القرآن».

قال تَعَالَىٰ: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ ۝١ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِى تَضْلِيلٍ ۝٢ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ۝٣ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ۝٤ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ﴾ [الفيل: ١ - ٥].

فتعالوا بنا لنتعرف على تلك القصة من بدايتها.

كانت اليمن تخضع لحكم الأحباش .. وكان ذلك قبل ميلاد النبي صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .. فقد سيطروا على بلاد اليمن واستبدُّوا بها.

أما «أبرهة» فقد كان واليًا على تلك البلاد مِن قِبَل ملك الحبشة، ولقد عُرف عنه الغلظة والشِّدة وسوءُ الخُلق.

وكان أسود شديد السواد، ذا شعرٍ مُجعَّد، ضخم الجسم، عظيم الرأس، قد شُقَّت إحدى شفتيه الغليظتين؛ ولذا عُرِف بـ «الأشرم».

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وكان «أبرهة» على دين رؤسائه من ملوك «الحبشة»: نصرانيًّا مُتعصِّبًا ومُبالغًا في كراهية كل معتقدٍ غير النصرانية.

أما العرب من أهل اليمن - ورغم قسوة التسلُّط وقهر النُّفوس - فقد كانوا توَّاقين أبدًا إلى أصالة انتسابهم التاريخي، وولائهم للبيت العتيق «الكعبة» في «مكة» - أم القرى -.

فمع بداية كل موسم ... كانوا يَشُدُّون الرِّحال إلى «الكعبة» زائرين مُعظِّمين، يتحملون مشاق السفر الطويل بصبرٍ وجَلَدٍ ... ثم ترتاح أبدانهم وتطمئن نفوسهم حين يبلغون غايتهم وينتهون إلى مقصدهم.

كان أبرهة يتساءل ويسأل: «أيُّ بيتٍ هذا الذي تقصده العرب؟».

فيُجاب: بأنه بِناءٌ بسيط متواضع، لا فَنَّ فيه ولا زخرفة، وقد رفع قواعده «إبراهيم»، و«إسماعيل» عَلَيْهِمَا ٱلسَّلَامُ فيما مضى من القرون.

وأن العرب يَحُجُّون إلى هذا البيت ... فامتلأ قلبه حقدًا على العرب وجلس مع نفسه يفكر كيف يصرف العرب عن هذا البيت.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وبعد تفكيرٍ عميقٍ هداه شيطانه إلى أن يبني كنيسة كبيرة في صنعاء سَمَّاها «القُلَّيس» لم يرَ الناس مثلها في زمانهم.

ثم كتب إلى النجاشي حاكم الحبشة قائلًا له: إني قد بنيت لك أيها الملك كنيسة لم يُبنَ مثلها لملكٍ كان قبلك أبدًا ... وإني لن أهدأ أبدًا حتى أصرف إليها حج العرب بدلًا من أن يَحُجُّوا إلى الكعبة.

وكان أبرهة الحبشى قد سخَّر أهل اليمن في بناء هذه الكنيسة وسخَّرهم فيها أشد أنواع التسخير.

وكان مَن تأخَّر عن العمل حتى تطلع الشمس يقطع يده لا محالة.

وجعل ينقل إليها من قصر بلقيس رُخامًا وأحجارًا وأمتعة عظيمة وركَّب فيها صُلبانًا من ذهبٍ وفضة.

وجعل فيها منابر من عاج وأبنوس وجعل ارتفاعها عظيمًا جدًّا واتساعها باهرًا.

ولكنه رأى أن العرب لا تتجه إلا إلى البيت العتيق، ورأى أهل اليمن أنفسهم يَدَعون البيت الذي بناه، وينصرفون إلى مكة.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

لقد ظن أبرهة أن العرب سيُخدَعون بتلك الزخارف التي كانت من الذهب والفضة وأنهم سينبهرون بتلك الكنيسة وسيتركون الكعبة والبيت الحرام من أجلها ... ونسى أن الذي ألقى محبة الكعبة وتعظيمها في قلوب الناس هو الله الذي بيده مقاليد الكون كله.. وقلوب العباد بين أصبعين من أصابع الرحمن يُقلِّبها كيف يشاء.

ولما علمت العرب بأن أبرهة قد بني كنيسة وأنه يريد أن يصرف الناس إليها ويتركوا الكعبة وبيت الله الحرام، اشتد غيظ العرب واشتعلت نيران الحقد في نفوسهم فقام رجل من كنانة فخرج من أرضه حتى وصل إلى صنعاء ودخل الكنيسة في وقتٍ لم يكن فيها أحدٌ وقضى حاجته في الكنيسة وترك فيها تلك النجاسات وخرج.

فلما علم أبرهة بذلك، غَضِبَ غضبًا شديدًا وقال: مَن صنع هذا؟

فقيل له: صنعه رجل من أهل هذا البيت الذي تَحُجُّه العرب بمكة لما سمع بقولك إنك تريد أن تصرف حجَّ العرب إلى بيتك هذا فغضب فجاء فأحدث فيها.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

فغضب أبرهة عند ذلك وحلف ليسيرنَّ إلى البيت حتى يهدمه.

وأخذ يعد العُدَّة لذلك، وأخبر سيده ملك «الحبشة» بعزمه ونيته، مُزينًا له المكاسب والنتائج التي سوف يجنيها سلطان الأحباش من وراء هذا التدبير!!!

وحشد آلافًا من الجند بكامل عُدتهم من أدواتٍ وسلاحٍ، ثم خرج بهم من عاصمة مُلكه تَحُفُّ به الرايات، وتَلمَعُ بين يديه الرِّماحُ والسُّيوفُ المُشْرَعَةُ.

الفيل في مقدمة الجيش

وجعل «أبرهة» في مقدمة جيشه فيلًا ضخمًا ما رأت عيون البشر مثيلًا له في أرض العرب، ولا في غيرها ... قد جُعِل فوق ظهره هودجٌ كبيرٌ مُصفَّح، يحمي قائده من خطر أَسِنَّةِ الحِراب والسِّهام، كما جُلِّل رأسه بالجلود الغليظة لنفس الغرض.

وكان الهدف من سَوق هذا الفيل في مقدمة الجيش هو استخدامه في هدم الكعبة؛ حيث يُثار ويُهاج بالوخزِ والضرب أو غير ذلك، كي ينطحها برأسه الضخم نطحات شديدة، فتتهاوي حجارتها...

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ولك أن تسأل: ولماذا يستخدم الفيل؟

أليس بإمكان أبرهة وجُنده أن ينقضوا بناء الكعبة بأيديهم ومعاولهم؟

وهذا صحيح...

لكن «أبرهة» المتغطرس المستبد كان يهدف إلى إذلال العرب بهدم رمز معتقدهم ومهوى قلوبهم وأفئدتهم بأسلوبٍ فيه التحقير والازدراء ... وهو استخدام الحيوان!! لكنَّ سَهمه طاش وفأله خاب. ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ﴾ [الأنفال: ٣٠][1].

في الطريق

ومن المعلوم أن الناس في أرض الجزيرة كانوا يعيشون في أماكن متفرقة .. فكل قبيلة تسكن في مكان بعينه ولا يستطيع أحدٌ أن يعرف مكان كل قبيلة إلا من خلال الدليل الذي يدلهم على المكان.. وإلا فسوف يتوه في صحراءٍ شاسعة قد يهلك فيها قبل أن يخرج منها.

(١) «قصص الحيوان في القرآن» (٢/ ١٢٩ - ١٣١) بتصرف.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ولـذا أراد أبرهة دليلًا في رحلته لهدم الكعبة ولكن لم يقبل أي عربيٍّ حُر أن يكون دليلًا لرجلٍ يريد أن يهدم الكعبة.

ومضى أبرهة في البداية بلا دليل ومعه جيشه الكبير الـمُدجَّج بالسـلاح والعتاد يقطعـون المفازات ... وكان أبرهـة يعتلي صَهوة جـواده تحيط به الجنود من كل مـكان وتخفق الأعلام والرايات من حوله.

دفاع بعض القبائل عن الكعبة

علمـت بعض القبائـل بخروج أبرهـة لهدم الكعبة فجاشـت حميتها وأرادت أن تمنعه من هذا العمل الإجرامي.

فخـرج إليه رجل كان من أشراف أهـل اليمن وملوكهم يُقال لـه: ذو نفـر ... فدعـا قومه ومَن أجابه من سـائر العرب إلى حرب أبرهـة، وجهاده عن بيـت الله الحرام، وما يريد مـن هدمه وإخرابه ... فأجابـه إلى ذلك مَـن أجابه، ثم عرض له فقاتلـه، فهُزم ذو نفر وأصحابه ... وأُخذ له ذو نفر فأُتي به أسيرًا ... فلما أراد قتله قال له ذو نفر: أيها الملك! لا تقتلني فإنه عسى أن يكون بقائي معك خيرًا

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

لك من قتلي ... فتركه من القتل وحبسه عنده في وثاقٍ، وكان أبرهة رجلًا حليمًا.

ولم يكن هزيمة هؤلاء العرب الذين خرجوا لمواجهة أبرهة بسبب قوة أبرهة وجيشه .. وإنما كان السبب في أن أبرهة استخدم سلاحًا جديدًا لا يعرفه أحدٌ من العرب ... ألا وهو سلاح الفيلة.

فقد كان أبرهة قد حشد مجموعة من الأفيال وعلى رأسهم فيلٌ ضخم لم يرَ العرب مثله أبدًا ... فكان يضرب الفرسان والأبطال بخرطومه فيُرديه مقتولًا.

ومن المعلوم أن الفيل حيوان نباتي ويحتاج إلى الماء الكثير .. وأرض الجزيرة قليلة الماء .. ولا يوجد فيها وفرة من الزروع والثمار ولذا فلم يكن أحدهم يرى الأفيال في أرض الجزيرة وإنما كانت موجودة في أرض اليمن .. ولذا فإن العرب لم يكونوا على معرفة بعالم الأفيال وسلاحهم الفتَّاك فخافوا منه وهابوه.

المقاومة

ومضى أبرهة في طريقه يريد هدم الكعبة.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ولما وصل إلى أرض «خثعم»، خرج له رجل اسمه نُفيل بن حبيب الخثعمي ومعه رجالٌ أقوياء من قبيلة خثعم «وهما: شهران وناهس» مع جماعة أخرى من قبائل العرب، فقاتلوا أبرهة الحبشي، فهزمهم أبرهة وأخذ نُفيل بن حبيب أسيرًا.

فلما أراد قتل نُفيل، قال له نُفيل: أيها الملك! لا تقتلني، فإني سأعمل معك وسأكون لك دليلًا في أرض العرب أدلك على الطريق. فتركه أبرهة وخلَّي سبيله على أن يكون دليلًا له يُعرفه الطريق.

فكان دليلًا لأبرهة حتى أوصله إلى الطائف وهي مدينة قريبة من مكة.

فلما وصل أبرهة إلى بلاد الطائف، خرج إليه رجل اسمه مسعود بن معتب بن مالك ومعه جماعة من رجال ثقيف، فقالوا له: أيها الملك! إنما نحن عبيدك وسوف نكون طوع أمرك وسنرسل معك أيضًا مَنْ يدلك على الطريق إلى الكعبة.

فأرسلوا معه «أبا رغال» ليدله على الطريق إلى مكة.

فخرج أبرهة ومعه أبو رغال حتى أنزله في مكان اسمه «المغمس» فلما أنزله به مات أبو رغال هناك فكانت العرب تلعنه

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وترجم قبره.. فهو القبر الذي يرجمه الناس بالمغمس؛ لأنه كان يريد أن يدل أبرهة على الكعبة ليهدمها.

فلما نزل أبرهة بالمغمس أرسل رجلًا من الحبشة اسمه «الأسود ابن مقصود» على خيلٍ له حتى وصل إلى مكة فنهب الديار والأموال .. وكان من بين الأشياء التي أخذها مائتا بعيرٍ لعبد المطلب بن هاشم سيد أهل مكة وكبيرهم.

فأرادت قريش وكنانة وهُذيل ومَن كان بذلك الحرم أن يحاربوا أبرهة ولكنهم عرفوا أنه لا طاقة لهم به، فتركوا ذلك ولم يقاتلوه.

وهناك بعث أبرهة رجلًا اسمه: حناطة الحِمْيَري إلى مكة وطلب منه أن يسأل عن سيد أهل هذا البلد ... وأن يُخبره بأن أبرهة ما جاء ليُقاتلهم وإنما جاء لهدم الكعبة، فإن تركوه يهدم الكعبة، فلن يتعرض لهم .. وإن تعرضوا له فسوف يقتلهم.

ثم قال له أبرهة: فإن وجدت سيد أهل مكة لا يريد حربي فائتني به، فلما دخل حناطة مكة، سأل عن سيد قريش وشريفها، فقيل له: عبد المطلب بن هاشم.

فجاءه فقال له ما أمره به أبرهة.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

فقال له عبد المطلب: والله ما نريد حربه وما لنا بذلك من طاقة، هذا بيت الله الحرام، وبيت خليله إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ.

فإن كان الله عَزَّوَجَلَّ سيحفظ بيته ويحميه من أبرهة فهو بيته وحرمه وإن يترك أبرهة يهدمه فليس عندنا أحدٌ يستطيع أن يمنع أبرهة.

فقال له حناطة: انطلق معي إليه فإنه قد أمرني أن آتيه بك.

فانطلق معه عبد المطلب ومعه بعض بنيه حتى وصل إلى جيش أبرهة، فسأل عن «ذي نفر»؛ لأنه كان صديقًا له، فعلم أنه محبوس عند أبرهة، فلما دخل عليه قال له: يا ذا نفر هل عندك حيلة نتخلص بها من أبرهة؟

فقال ذو نفر: وهل أملك أي حيلة وأنا رجلٌ أسيرٌ عنده أنتظر أن يقتلني في أي وقت ... لكني أعرف شابًّا طيبًا اسمه: أنيس وهو سائس الفيل، فسوف أرسل إليه وأوصيه بك وأُعرفه قدرك ومكانتك وأطلب منه أن يستأذن لك لتدخل على أبرهة وتُكلمه ... وسأجعله يشفع لك عند أبرهة بخيرٍ إن استطاع.

فقال عبد المطلب: يكفيني هذا يا صديقي.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

فبعث ذو نفر إلى أنيس فقال له: عبد المطلب سيد قريش وصاحب عين مكة، يُطعم الناس بالسهل والوحوش في رؤوس الجبال، فاستأذِن له عليه وانفعه عنده بما استطعت.

قال: أفعل.

فكلم أنيس أبرهة فقال له: أيها الملك! هذا سيد قريش ببابك يستأذن عليك وهو صاحب عين مكة وهو الذي يُطعِم الناس بالسهل والوحوش في رؤوس الجبال ، فائذن له عليك، فليكلمك في حاجته، فأَذِن له أبرهة، قال: وكان عبد المطلب أوسم الناس وأعظمهم وأجملهم، فلما رآه أبرهة أجلَّه وأكرمه عن أن يجلسه تحته وكره أن تراه الحبشة يُجلسه معه على سرير مُلكه.

فنزل أبرهة عن سريره، فجلس على بِساطه وأجلسه معه عليه إلى جانبه، ثم قال لترجمانه: قُل له ما حاجتك؟ فقال له ذلك الترجمان... فقال: حاجتي أن يرد عليَّ الملك مائتي بعير أصابها لي.

فلما قال له ذلك، قال أبرهة لترجمانه: قل له لقد كنت أعجبتني حين رأيتك، ثم قد زهدت فيك حين كلمتني.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

أتكلمني في مائتي بعير أصبتها لك وتترك بيتًا هو دينك ودين آبائك قد جئت لأهدمه، لا تكلمني فيه؟

فقال له عبد المطلب: إني أنا ربُّ الإبل وإن للبيت ربًّا يحميه.

فقال أبرهة: لا يستطيع أحدٌ مهما كان أن يحمي البيت مني أبدًا.

فقال عبد المطلب: أنت وما تريد.

وهنا أمر أبرهة جنوده فردُّوا على عبد المطلب مائتي بعير.

فلما خرج عبد المطلب، ذهب إلى قريش وأخبرهم الخبر وأمرهم أن يخرجوا فورًا من مكة وأن يتحصنوا في رؤوس الجبال.

ثم قام عبد المطلب وأخذ بحلقة باب الكعبة وقام معه نفرٌ من قريش يدعون الله ويطلبون منه النصر على أبرهة وجنده.

فلما أصبح أبرهة، تهيأ لدخول مكة وهيأ فيله المُرعب وجيشه الكبير ... وكان اسم الفيل: «محمود».

فلما وجَّهوا الفيل إلى مكة، أقبل نُفيل بن حبيب حتى قام إلى جنب الفيل، ثم أخذ بأذنه فقال: ابرُك محمود وارجع راشدًا من

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

حيث أتيت، فإنك في بلد الله الحرام وأرسل أُذنه ... فَبَرَكَ الفيلُ ...

أي: سقط على الأرض.

وهنا خرج نُفيل بن حبيب يجري حتى صعد الجبل.

وبدأ الهجوم

أعطى «أبرهة» الإشارة لجيشه بهدم الكعبة، فهَبَّ الجُند يحركون الفيل الكبير ناحية الكعبة، إلا أن الفيل وقف لا يتحرك.

فجاء الجند القائمون على تدريب الفيلة ليتعاملوا مع هذا الفيل، فبَرَكَ الفيل في الأرض - **أي:** رقد - فجاءوا بالسياط - الكرابيج - وضربوا الفيل بها ضربًا مؤلمًا لكن لم يتحرك. فحوَّلوه ناحية اليمن، فقام الفيل يجري. ثم أعادوا وجهه ناحية الكعبة فوقف ولم يتحرك. ثم بَرَكَ على الأرض ثانية ... فجاءوا بالفأس فضربوه بها، فلم يتحرك شبرًا واحدًا، فوجَّهوه ناحية الشام، فقام يجري ثم أعادوه ناحية الكعبة ففعلها ثالثة ورقد على الأرض دون حركة.

ولم يَكُن «أبرهة» وجنده يعلمون أن الفيل - رغم أنه مخلوق لا يعقل - إلا أنه مأمورٌ بأمر الله، ولن يُخالف أمر ربه، ولو كان

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

حيوانًا بلا عقل، وبلا قلب ... ولن يكون الفيل سببًا في هدم الكعبة وتسويتها بالأرض.

لقد حاروا في أمره، ففعلوا معه كل شيء ليُطيعهم، لكن الفيل عصى البشر، ليطيع أمر الله تَعَالَىٰ.

نهاية أبرهة وجيشه!!!

أما «أبرهة» الذي جاء ليهدم الكعبة، وتحدَّى الله تَعَالَىٰ، فقد كانت نهايته ونهاية جيشه قد كُتبت في اللحظة التي فكروا فيها وقرروا أن يهدموا الكعبة ... وكان في انتظارهم مفاجأة ... فسيجعلهم الله عبرة للأولين والآخرين ... وإذا كان عبد المطلب وهو بشرٌ ضعيف قد حَمَى إبله، فإن الله سيحمي بيته الحرام؛ لأن مكة ستشهد بعد عدة سنوات خيرًا عظيمًا ببعثة رسول الله ﷺ، وإسلام أهلها.

فبينما الجميع في حيرة من أمر الفيل الذي حُبس بأمر الله في هذه البقعة؛ إذ جاءت طيورٌ عجيبة سدَّت الأُفق.

فقد أرسل اللهُ طيرًا أبابيل، **أي**: جماعات متفرقة، في منقار كُلٍّ منها، وفي رجليه حجارة من سِجِّيل، وهو الطين الذي وضع في النار،

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

كل حجر قدر الحُمّص ... تُلقى الحجارة على الجندي من جيش أبرهة فيسقط صريعًا قتيلًا. ويتفتت جسده حتى يصير كالتبن، أو ورق الشجر الذي جَفَّ وتقطَّع، وهو العصف المأكول.

وأهلك الله الجيش كله إلا قليلًا، ومعهم «أبرهة» الذي لم يشأ الله أن يُقتَل بعد ... ليذوق الألم والعذاب قبل موته بعد أن تحدَّى الله وأراد هدم بيته ... وكان طريق عودته أسوأ طريقٍ رآه في حياته. فقد كانت أعضاء جسده تتساقط، العضو تلو العضو، والدم يسيل منه والقيح فما إن وصل إلى اليمن حتى كان كالفرخ الصغير، الذي وُلِد للتوِّ لا ريش عليه، ولا عظام له، جزاءً وفاقًا ... فلبث قليلًا ليكون درسًا قاسيًا له، ولكل مَن أراد هدم الكعبة المشرفة، أو قصدها بسوء.

ثم هلك ومات غير مأسوفٍ عليه ولا على جيشه، فردَّ الله كيد أصحاب الفيل، ونجَّى بيته وحفظه، فسمَّى العرب هذا العام عام الفيل. وعاد الناس إلى بيوتهم.

وأما قائد الفيل وسائسه فقد أعمى الله أبصارهما فكانا يجلسان في الطرقات بمكة يسألون الناس الطعام والشراب.

وهذا كله جزاء مَن تعرَّض لهدم بيت الله الحرام.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

لقد اختار أبرهة أضخم الحيوانات وأكبرها، وأشدها فتكًا في ثورتها؛ لتكون أداته في هدم بيت التوحيد ... أول بيتٍ وُضع للناس.

لكن الله تَعَالَىٰ - جلَّت قدرته - رَدَّ كيد «أبرهة» ومكره وتدبيره، بالحيوان الضعيف .. بالطير المرفرف .. يحمل في منقاره الموت الزُّؤام «جحارة من سِجِّيل»!!

وبهذا كُفَّت يد الطغيان والإثم عن «الكعبة» المُشرفة، وكان لابد أن تتم إرادة الله تَعَالَىٰ بتطهيرها من رجس الأوثان والأصنام، وإعادتها نقية نظيفة من دَنَس الجاهلية، كما كانت على عهد إبراهيم، وإسماعيل عَلَيْهِمَا ٱلسَّلَامُ بولادة سيد الأنام، رسولنا المصطفى محمد ابن عبد الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ففي ذلك العام - عام الفيل - وُلِد حبيبنا الأكرم ورسولنا الأعظم، قدوة الموحدين، وإمام المتقين، وخاتم الرسل أجمعين[1].

(١) «قصص الحيوان في القرآن» محمد على قطب (٢/ ١٤٢).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الدروس المستفادة

- أن أعداء الإسلام لا يحبون الخير للمسلمين أبدًا.
- أن الواجب على المسلم أن يبذل كُلَّ ما يستطيع من أجل الدفاع عن دينه ووطنه.
- أن المسلم لا ينبغي أن يحرص على مصلحته الشخصية فقط بل ينبغي عليه أن يحرص على مصلحة دينه ووطنه والمسلمين من حوله...

فلقد رأينا كيف أن أبرهة قد غيَّر رأيه في عبد المطلب؛ لأنه ظَنَّ أنه يريد أن يمنعه من هدم الكعبة فوجده قد جاء ليسأل عن بعيره.

- أن الله هو الذي يحمي دينه ويدافع عن الذين آمنوا..

ولقد رأينا كيف أن الله حمى بيته من أبرهة وجنوده؛ لأن هذا البيت سيكون قِبلة للنبي ﷺ وأمته.

- أن من أراد الإسلام والمسلمين بسُوءٍ، فإن الله عَزَّوَجَلَّ ينتقم منه ويجعله عِبرة للناس.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قِصَّةُ

البقرة التي كلّمت راكبها والذئب الذي كلّم الراعي

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: صَلَّى رَسُولُ الله ﷺ، صَلاَةَ الصُّبْحِ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ، فَقَالَ: «**بَيْنَا رَجُلٌ يَسُوقُ بَقَرَةً إِذْ رَكِبَهَا فَضَرَبَهَا، فَقَالَتْ: إِنَّا لَمْ نُخْلَقْ لِهَذَا، إِنَّمَا خُلِقْنَا لِلْحَرْثِ**» فَقَالَ النَّاسُ: سُبْحَانَ الله بَقَرَةٌ تَكَلَّمُ، فَقَالَ: «**فَإِنِّي أُومِنُ بِهَذَا، أَنَا وَأَبُو بَكْرٍ، وَعُمَرُ، - وَمَا هُمَا ثَمَّ - وَبَيْنَمَا رَجُلٌ فِي غَنَمِهِ إِذْ عَدَا الذِّئْبُ، فَذَهَبَ مِنْهَا بِشَاةٍ، فَطَلَبَ حَتَّى كَأَنَّهُ اسْتَنْقَذَهَا مِنْهُ، فَقَالَ لَهُ الذِّئْبُ هَذَا: اسْتَنْقَذْتَهَا مِنِّي، فَمَنْ لَهَا يَوْمَ السَّبُعِ، يَوْمَ لاَ رَاعِيَ لَهَا غَيْرِي**» فَقَالَ النَّاسُ: سُبْحَانَ الله ذِئْبٌ يَتَكَلَّمُ، قَالَ: «**فَإِنِّي أُومِنُ بِهَذَا، أَنَا وَأَبُو بَكْرٍ، وَعُمَرُ، - وَمَا هُمَا ثَمَّ**».

حدَّثنا رسولنا ﷺ في هذا الحديث عن بعض العجائب والغرائب التي وقعت لبعض الناس من قبلنا .. حدثنا عن رجل امتطى ظهر بقرة كما يمتطي الناس ظهور الخيل والحمير والبغال، فتباطأت به، فضربها لتُسرع في سيرها، فإذا بالبقرة تلتفت إليه،

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وتُكلمه بكلام البشر قائلة له مُستنكرة ركوبه لها مخالفًا سُنة الله في خلقه فيها: إنَّا لم نُخلق لهذا، وإنما خُلقنا للحرث، وكأنها تقول له: أنت ظالمٌ لي بركوبك لي لأنك استعملتني فيما لم يخلقني الله له ... ذلك أن الظلم وضع الشيء في غير موضعه.

فقال الصحابة مُتعجبين: سبحان الله! بقرة تتكلم!! ولكن تَعجُّبَهم لم يكن تكذيبًا للرسول، فحاشاهم أن يُكذبوه، ولكنهم سمعوا منه ما هو مخالفٌ للمألوف المُشاهَد المعروف.

فقال لهم مُؤكدًا الخبر، ومُقررًا إياه: إنه يؤمن بذلك، ويؤمن به أبو بكر وعمر ... ولم يكونا موجودين في ذلك اليوم معه في المسجد عندما حدَّث بهذا الحديث، قال ذلك عنهما في غيبتهما، لعلمه بعظيم تصديقهما لربهما، وعظيم يقينهما وإيمانهما بقدرة الله على كل شيء، ومن ذلك إقدار البقرة على الكلام.

وحدَّثهم عن قصة أخرى كان المتكلمَ فيها ذئب ... فقد عدا ذلك الذئب على غنمٍ لأحد الرُّعاة، فأخذ منها شاة، وكان الراعي قويًّا شُجاعًا، فتبع الذئب واستنقذ شاته منه، فالتفت الذئب إلى الراعي مُستنكرًا عليه أخذ الشاة منه وقال له: ها أنت استنقذت هذه الشاة مني، فمَن لها يوم السبع يوم لا راعي لها غيري؟ وهو

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

يشير بيوم السبع إلى واقعة تقع في مقتبل الزمان، تُترك فيها الأنعام والمواشي وتُهمَل، فتعيث السباع فسادًا فيها، لعدم وجود مَن يحميها ويحرسها ... ويبدو أن ذلك يقع قُرب وقوع الساعة، عند اشتداد الفتن.

وكما تعجَّب الناس من البقرة التي تتكلم تعجَّبوا أيضًا من الذئب الذي تكلم، وقالوا ما قالوه أولًا، وردَّ عليهم، بما ردَّه عليهم في القصة الأولى.

وما استغربه الصحابة هو تكليم الحيوانات للبشر بكلام البشر، أما أن يكلم البشرُ الحيوان بلغته فذاك أمرٌ آخر ... فقد كان نبي الله سليمان يفقه لغة الطير والحيوان وقد أُخبرنا أن جيش سليمان عندما أتى وادي النمل ﴿قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٨﴾ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِنْ قَوْلِهَا﴾ [النَّمل: ١٨ - ١٩]

وعندما تفقَّد جنوده ومنهم الطيور المُجنَّدة في جيشه، لم يجد الهدهد وهو أحد جنوده المجندة، فتوعده بالذبح إن لم يأته بما يُبرر به غيبته ... فلما حضر عنده، ووقف بين يديه خاطبه قائلًا: ﴿أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴿٢٢﴾ إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ﴾ [النمل: ٢٢ - ٢٣]. إلى آخر ما قاله لسليمان.

ومن ذلك إخبار الهدهد سليمان بأخبار ملكة سبأ وقومها، وما هم عليه من الشرك ... وتكليف سليمان له بحمل رسالة منه لملكة سبأ، وتكليفه بحمل ردِّها على رسالته.

ومن ذلك أن بعض الحيوانات كلَّمت الرسول ﷺ وفَقِهَ عنها ما تكلمت به .. فقد شكا جَمَلٌ إلى الرسول ﷺ أن أهله يُتعبونه ويُجيعونه.

أما تكليم الحيوانات للبشر بلغة البشر، فقد وقع منه ما أخبر به الرسول ﷺ في هذا الحديث.

وقد روى أبو نعيم في «دلائل النبوة» ما وقع لأحد أصحاب الرسول ﷺ اسمه «أهبان بن أوس»، فقد عدا الذئب على غنمه، فشدَّ الذئب على الشاة، فصاح بالذئب، فأقعى على ذَنَبِه، وخاطب الراعي قائلًا: مَن لها يوم تُشغَل عنها؟ تمنعني رزقًا رزقنيه الله تَعَالَىٰ، قال: فصفَّقتُ بيدي، وقلت: والله ما رأيت شيئًا أعجب من هذا ... وكان وقوع هذا بعد البعثة النبوية، فقال الذئب: أعجب

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

من هذا ... هذا رسول الله ﷺ بين هذه النخلات يدعو إلى الله ... فأتى أهبان إلى النبي ﷺ فأخبره وأسلم.

وقد أخبرنا الرسول ﷺ أن الساعة لا تقع حتى تكلم السباع الإنس - **أي**: بلغتهم - وذلك كائنٌ لإخبار الرسول ﷺ به.

ونحن وإن كنا نعجب من تكليم الحيوان للإنسان بلغته فإننا نؤمن به تصديقًا لخبر الصادق المصدوق، وإيمانًا منا بقدرة الله تَعَالَى، وقد أخبرنا الله أن أعضاء الإنسان في يوم القيامة تكلمه وتشهد عليه: ﴿وَقَالُوا۟ لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا ۖ قَالُوٓا۟ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ﴾ [فصلت: ٢١].

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الدروس المستفادة

- استحباب وعظ الناس بالوقائع الدَّالة على عظيم قدرة الله، فقد جاء في هذا الحديث أن الرسول ﷺ حدَّث بهذا الحديث أصحابه بعد صلاة الصبح.
- يجوز وعظ الناس بعد الصلاة.
- بيان عظيم قدرة الله في خلقه ... فالله قادر على أن يُعلِّم الحيوان التكلُّم بلسان الإنسان.
- يجب على المسلم أن يصدق بالأخبار التي جاء القرآن بها أو صحَّ بها السَّند إلى رسول الله ﷺ، مهما كان الخبر مُستغرَبًا.

أما القصص الموضوعة والمكذوبة التي لم تصح الأحاديث بها فلا تجوز روايتها إلا لبيان كذبها وضعفها.

- لا يجوز استعمال الحيوان في غير ما خلقه الله له ... كأن تستعمل الأغنام في الحراثة، والأبقار في الركوب ونقل الأثقال ... فالله خلق كل حيوان ليقوم بمهمات تُناسب خلقه وقدراته.
- فضل أبي بكرٍ وعمر ... فقد أخبر الرسول ﷺ عن عظيم إيمانهما، وقوة يقينهما، وكمال معرفتهما لعظيم سلطان الله

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وكمال قدرتـه، وأنهما يصدقانه فيما أخبر به من غير تَردُّد على الرغم من غيابهما عن صلاة الصبح ... وأغلب الظن أنهما ما غابا إلا لأنهما كانا خارج المدينة في سرية أو مهمة بعث بهما رسول الله ﷺ إليها.

فقد عُلم من سـيرتهما أنهما لا يتخلفان عن الصلاة مع الرسول ﷺ إذا كانا في المدينة.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قِصَّةُ

الذئب الذي شهد للنبي ﷺ بالنبوة

كان هناك رجلٌ يرعي الغنم فجاء الذئب فخطف شاةً فأسرع الراعي خلفه حتى أدركه وأخذ منه الشاة ... فجلس الذئب على الأرض وقال للراعي: ألا تتقي الله تأخذ مني رزقًا ساقه الله إليَّ.

فتعجَّب الراعي وقال: يا عجبي .. ذئبٌ يكلمني كلام الإنس.

فقال له الذئب: ألا أُخبرك بأعجب من ذلك؟ محمد ﷺ بيثرب «المدينة المنورة» يخبر الناس بأنباء ما قد سبق.

فذهب الراعي إلى النبي ﷺ وأخبره بما حدث.

فقال النبي ﷺ: «**صدق .. والذي نفسي بيده لا تقوم الساعة حتى يُكلم السِّباعُ الإنس**».

وما هي القصة كاملة من خلال هذا الحديث:

عن أبي سعيد الخُدري رضي الله عنه قال: عدا الذئبُ على شاةٍ فأخذها، فطلبهُ الراعي فانتزعها منهُ، فأقعى الذئبُ على ذَنَبِه،

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قال: ألا تتقي الله تنزعُ مني رزقًا ساقه الله إليَّ! فقال يا عجبي! ذئبٌ مُقعٍ على ذَنَبِه يُكلمُني كلام الإنس!! فقال الذئبُ: ألا أُخبرُك بأعجب من ذلك؟ مُحمدٌ ﷺ بيثرب يُخبرُ الناس بأنباء ما قد سبق! قال: فأقبل الراعي يَسُوقُ غنمهُ حتى دخل المدينة، فزواها إلى زاوية من زواياها، ثم أتى رسُول الله ﷺ فأخبرهُ ... فأمر رسول الله ﷺ فَنُودي: الصلاةُ جامعةٌ، ثم خرج فقال للراعي: أَخبرهُم، فأخبرهم فقال رسول الله ﷺ: «**صدق، والذي نفسي بيده لا تقُومُ الساعةُ حتى يُكلم السباعُ الإنس ويُكلم الرجُل عذبةُ سوطه وشِراك نعله ويُخبرهُ فَخِذُهُ بما أحدث أهلُهُ بعدهُ**».

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قِصَّةُ

الذئب الذي خطف طفلًا صغيرًا

إنها قصة عجيبة وقعت في عهد نبي الله داود عَلَيْهِ السَّلَامُ.

ففي يوم من الأيام خرجت امرأتان في سفرٍ قريب ومع كل واحد منهما ابنها الوحيد الذي تُحبه حُبًّا جَمًّا.

وكان الولدان يلعبان قريبًا منهما حتى يكونا في أمان.

ولكن فجأة خرج ذئبٌ من بين المزارع وهجم على طفل منهما فأكله فقالت أم الطفل الذي أكله الذئب لصاحبتها: لقد أكل الذئب ابنك.

فقالت الأخرى: بل لقد أكل الذئب ابنك أنتِ.

وأخذ النزاع يشتد بينهما .. كل واحدة منهما تدَّعى أن الذئب قد أكل ابن الأخرى وأن هذا الولد الحي هو ابنها هي.

فذهبت المرأتان إلى نبي الله داود عَلَيْهِ السَّلَامُ ليقضي بينهما.

فأخذ داود عَلَيْهِ السَّلَامُ يُحقق في تلك المسألة ويجتهد قدر استطاعته إلى أن أدَّاه اجتهاده إلى أن يحكم بأن هذا الولد الحي هو ابن الكبرى.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

فلما خرجتا من عند داود عَلَيْهِ السَّلَامُ ذهبتا إلى نبي الله سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ ليقضي بينهما .. فقد كانت أم الطفل «وهي المرأة الصُّغرى» في قمة الشوق واللهفة لرجوع ولدها إليها.

فأخذ نبي الله سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ يفكر في حيلة يستطيع من خلالها أن يعرف مَن هي الأم الحقيقية لهذا الولد.

فطلب مِمَّن حوله أن يأتوه بسكين.

فسألت المرأتان: وماذا ستفعل بالسِّكين يا نبي الله.

فقال سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ: سأَشُق الغلام إلى نصفين لأُعطى كل واحدة منكما نصفًا وبذلك أكون قد عدلت بينكما.

فظنت المرأتان أن سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ جادٌّ في كلامه وأنه عازمٌ على شق الغلام إلى نصفين.

وهنا قامت الأم الحقيقية «المرأة الصغرى» تصرخ خوفًا على ولدها وتقول له: لا تفعل يرحمك الله .. هو ابنها.

وهنا عرف سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ من لهفة هذه الأم على ابنها أنها هي أمه الحقيقية .. وأنها اعترفت بأن هذا الولد هو ابن المرأة الأخرى لأنها تُفضل بقاء ولدها ولو مع غيرها على أن يُذبح وتُحرم من

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

رؤيته للأبد فتأكد نبي الله سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ من أنه ولدها فقضى لها بالولد «أي للمرأة الصغرى» رغم إقرارها به للأخرى.

ولقد ذكر النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هذه القصة فقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«كَانَتِ امْرَأَتَانِ مَعَهُمَا ابْنَاهُمَا، جَاءَ الذِّئْبُ فَذَهَبَ بِابْنِ إِحدَاهُمَا، فَقَالَتْ صَاحِبَتُهَا: إِنَّمَا ذَهَبَ بِابْنِكِ، وَقَالَتِ الأُخْرَى: إِنَّمَا ذَهَبَ بِابْنِكِ، فَتَحَاكَمَتَا إِلَى دَاوُدَ** عَلَيْهِ السَّلَامُ، **فَقَضَى بِهِ لِلْكُبْرَى، فَخَرَجَتَا عَلَى سُلَيْمَانَ بْنِ دَاوُدَ فَأَخْبَرَتَاهُ، فَقَالَ: ائْتُونِي بِالسِّكِّينِ أَشُقُّهُ بَيْنَهُمَا، فَقَالَتِ الصُّغْرَى: لاَ تَفْعَلْ يَرْحَمُكَ اللهُ، هُوَ ابْنُهَا، فَقَضَى بِهِ لِلصُّغْرَى»**.

قال العلماء: «توصَّل سليمان بطريق من الحيلة والملاطفة إلى معرفة باطن القضية، فأوهمهما أنه يريد قطعه، ليعرف مَن يَشُقّ عليها قَطْعُه، فتكون هي أمه، فلما أرادت الكبرى قَطْعَه عرف أنها ليست أُمه، فلما قالت الصغرى ما قالت عرف أنها أُمه ... ولم يكن مُراده أن يقطعه حقيقة، وإنما أراد اختبار شفقتهما، لتتميز له الأم، فلما تميزت بما ذكرت عرفها».

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قِصَّةُ

البعير الذي اشتكى صاحبه لرسول الله ﷺ

في يوم من الأيام خرج النبي ﷺ من بيته وركب دابته وأخذ عبد الله بن جعفر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ خلفه على الدابة وسارًا سويًّا.

وبعد فترة دخل النبي ﷺ بستانًا لرجل من الأنصار وأخذ يتأمل في الزروع والثمار وهو يُسبِّح الله جَلَّ وَعَلَا ... وفجأة رأى النبي ﷺ جَمَلًا فحدث أمرٌ عجيب أغرب من الخيال، يا تُرى ما الذي حدث؟

لقد نظر الجمل إلى النبي ﷺ وظل يَحِنُّ ويبكي وبدأت الدموع تنساب على وجنتيه.

فلما رآه النبي ﷺ، تأثَّر وذهب إليه وأخذ يمسح بيده على مؤخرة رأسه بكل رحمة وحنان ... فسكت الجمل وكَفَّ عن البكاء.

فسأل النبي ﷺ: «**من صاحب هذا الجمل؟ لمن هذا الجمل؟**».

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

فجاء فتى من الأنصار لما سمع صوت رسول الله ﷺ وقال: إنه لي يا رسول الله.

فغضب النبي ﷺ وقال له: «**أفلا تتقي الله في هذه البهيمة التي ملَّكك الله إياها؟**» .. فتعجب الفتى من كلام النبي ﷺ الذي دخل البستان منذ لحظات وما رأى شيئًا من معاملة هذا الفتى للجمل ... فمَن الذي أخبر النبي ﷺ بأن هذا الفتى يُسيئ معاملة الجمل.

فإذا بالنبي ﷺ يخبره بأن الجمل قد شكا إليه أنه يُجيعه ولا يطعمه إلا القليل من الطعام الرديء .... ومع ذلك فهو يُتعبه ويُكلفه من الأعمال فوق طاقته.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الدروس المستفادة

- أن المسلم لابد أن يكون متواضعًا .. فلقد رأينا كيف أن النبي ﷺ وهو قائد الأمة ورسولها ومع ذلك أخذ عبد الله ابن جعفر رضي الله عنه معه على الدابة وسارًا سويًّا.

- أن المسلم لابد أن يكون رحيمًا بكل مَن حوله من الناس وأن يكون رحيمًا بالدواب والحيوانات .. فلقد أخبرنا النبي ﷺ أن الله قد غفر لامرأة بَغيٍّ لأنها سقت كلبًا ... وأدخل امرأة النار لأنها حبست هِرَّة «قطة».

- أن المسلم إذا كان رحيمًا فإن الله يرحمه في الدنيا والآخرة ... قال ﷺ: «**ارحموا مَن في الأرض يرحمكم مَن في السماء**».

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قِصَّةُ

الجسَّاسة

جمع رسول الله ﷺ الناس في المسجد بعد الصلاة ليخبرهم عن خبر الدجال والجساسة ... فقالت فاطمة بنت قيس رضي الله عنها: «... فَخَرَجْتُ إِلَى الْمَسْجِدِ، فَصَلَّيتُ مَعَ رَسُولِ الله ﷺ، فَكُنْتُ فِي صَفِّ النِّسَاءِ الَّتِي تَلِي ظُهُورَ الْقَوْمِ فَلَمَّا قَضَى رَسُولُ الله ﷺ صَلَاتَهُ جَلَسَ عَلَى الْمِنْبَرِ، وَهُوَ يضْحَكُ، فَقَالَ: «**لِيلْزَمْ كُلُّ إِنْسَانٍ مُصَلَّاهُ**»، ثُمَّ قَالَ: «**أَتَدْرُونَ لِمَ جَمَعْتُكُمْ؟**» قَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ.

قَالَ: «**إِنِّي وَالله مَا جَمَعْتُكُمْ لِرَغْبَةٍ ولَا لِرَهْبَةٍ، وَلَكِنْ جَمَعْتُكُمْ، لِأَنَّ تَمِيمًا الدَّارِى كَانَ رَجُلًا نَصْرَانِيًا، فَجَاءَ فَبَايعَ وَأَسْلَمَ، وَحَدَّثَنِي حَدِيثًا وَافَقَ الَّذِي كُنْتُ أُحَدِّثُكُمْ عَنْ مَسِيحِ الدَّجَّالِ ... حَدَّثَنِي أَنَّهُ رَكِبَ فِي سَفِينَةٍ بَحْرِيةٍ، مَعَ ثَلَاثِينَ رَجُلًا مِنْ لَخْمٍ وَجُذَامَ، فَلَعِبَ بِهِم الْمَوْجُ شَهْرًا فِي الْبَحْرِ، ثُمَّ أَرفَئُوا إِلَى جَزِيرَةٍ فِي الْبَحر حَتَّى مَغْرِبِ الشَّمسِ، فَجَلَسُوا فِي أَقْرُبِ السَّفِينَةِ فَدَخَلُوا الْجَزِيرَةَ فَلَقِيتْهُمْ دَابَّةٌ أَهْلَبُ كَثِيرُ الشَّعَرِ، لَا يدْرُونَ مَا قُبُلُهُ مِنْ دُبُرِهِ، مِنْ كَثْرَةِ الشَّعَرِ**».

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

فَقَالُوا: وَيلَكِ مَا أَنْتِ؟ فَقَالَتْ: أَنَا الْجَسَّاسَةُ، قَالُوا: وَمَا الْجَسَّاسَةُ؟ قَالَتْ: أَيهَا الْقَوْمُ انْطَلِقُوا إِلَى هَذَا الرَّجُلِ فِي الدَّيرِ، فَإِنَّهُ إِلَى خَبرِكُمْ بِالْأَشْوَاقِ قَالَ: لَمَّا سَمَّتْ لَنا رَجُلًا فَرِقْنَا مِنْهَا أَنْ تَكُونَ شَيطَانَةً .. قَالَ: فَانْطَلَقْنَا سِرَاعًا، حَتَّى دَخَلْنَا الدَّيرَ، فَإِذَا فِيهِ أَعْظَمُ إِنْسَانٍ رَأَيناهُ قَطُّ خَلْقًا، وَأَشَدُّهُ وِثَاقًا مَجْمُوعَةٌ يدَاهُ إِلَى عُنُقِهِ، مَا بَينَ رُكْبَتَيهِ إِلَى كَعْبَيهِ بِالْحَدِيدِ.

قُلْنَا: وَيلَكَ مَا أَنْتَ؟ قَالَ: قَدْ قَدَرْتُمْ عَلَى خَبَرِي، فَأَخْبِرُونِي مَا أَنْتُمْ؟ قَالُوا: نَحْنُ أُنَاسٌ مِنَ الْعَرَبِ رَكِبْنَا فِي سَفِينَةٍ بَحْرِيةٍ، فَصَادَفْنَا الْبَحْرَ حِينَ اغْتَلَمَ فَلَعِبَ بِنَا الْمَوْجُ شَهْرًا، ثُمَّ أَرْفَأْنَا إِلَى جَزِيرَتِكَ هَذِهِ، فَجَلَسْنَا فِي أَقْرُبِهَا - **أي**: القوارب -، فَدَخَلْنَا الْجَزِيرَةَ، فَلَقِيتْنَا دَابَّةٌ أَهْلَبُ كَثِيرُ الشَّعَرِ، لَا يدْرَي مَا قُبُلُهُ مِنْ دُبُرِهِ مِنْ كَثْرَةِ الشَّعَرِ، فَقُلْنَا: وَيلَكِ مَا أَنْتِ؟ فَقَالَتْ: أَنَا الْجَسَّاسَةُ، قُلْنَا: وَمَا الْجَسَّاسَةُ؟ قَالَتْ: اعْمِدُوا إِلَى هَذَا الرَّجُلِ فِي الدَّيرِ، فَإِنَّهُ إِلَى خَبَرِكُمْ بِالْأَشْوَاقِ، فَأَقْبَلْنَا إِلَيكَ سِرَاعًا، وَفَزِعْنَا مِنْهَا، وَلَمْ نَأْمَنْ أَنْ تَكُونَ شَيطَانَةً.

فَقَالَ: أَخْبِرُونِي عَنْ نَخْلِ بَيسَانَ، قُلْنَا: عَنْ أَي شَأْنِهَا تَسْتَخْبِرُ؟

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ: أَسْأَلُكُمْ عَنْ نَخْلِهَا، هَلْ يُثْمِرُ؟ قُلْنَا لَهُ: نَعَمْ، قَالَ: أَمَا إِنَّهُ يوشِكُ أَنْ لَا يُثْمِرَ.

قَالَ: أَخْبِرُونِي عَنْ بُحَيرَةِ الطَّبَرِيةِ، قُلْنَا: عَنْ أَي شَأْنِهَا تَسْتَخْبِرُ؟ قَالَ: هَلْ فِيهَا مَاءٌ؟ قَالُوا: هِي كَثِيرَةُ الْمَاءِ، قَالَ: أَمَا إِنَّ مَاءَهَا يوشِكُ أَنْ يذْهَبَ.

قَالَ: أَخْبِرُونِي عَنْ عَينِ زُغَرَ، قَالُوا: عَنْ أَي شَأْنِهَا تَسْتَخْبِرُ؟ قَالَ: هَلْ فِي الْعَينِ مَاءٌ؟ وَهَلْ يزْرَعُ أَهْلُهَا بِمَاءِ الْعَينِ؟ قُلْنَا لَهُ: نَعَمْ، هِي كَثِيرَةُ الْمَاءِ، وَأَهْلُهَا يزْرَعُونَ مِنْ مَائِهَا.

قَالَ: أَخْبِرُونِي عَنْ نَبِي الْأُمِّيينَ مَا فَعَلَ؟ قَالُوا: قَدْ خَرَجَ مِنْ مَكَّةَ وَنَزَلَ يثْرِبَ، قَالَ: أَقَاتَلَهُ الْعَرَبُ؟ قُلْنَا: نَعَمْ، قَالَ: كَيفَ صَنَعَ بِهِمْ؟ فَأَخْبَرْنَاهُ أَنَّهُ قَدْ ظَهَرَ عَلَى مَنْ يلِيهِ مِنَ الْعَرَبِ وَأَطَاعُوهُ، قَالَ لَهُمْ: قَدْ كَانَ ذَلِكَ؟ قُلْنَا: نَعَمْ، قَالَ: أَمَا إِنَّ ذَاكَ خَيرٌ لَهُمْ أَنْ يطِيعُوهُ، وَإِنِّي مُخْبِرُكُمْ عَنِّي، إِنِّي أَنَا الْمَسِيحُ، وَإِنِّي أُوشِكُ أَنْ يؤْذَنَ لِي فِي الْخُرُوجِ، فَأَخْرُجَ فَأَسِيرَ فِي الْأَرْضِ فَلَا أَدَعَ قَرْيةً إِلَّا هَبَطْتُهَا فِي أَرْبَعِينَ لَيلَةً غَيرَ مَكَّةَ وَطَيبَةَ، فَهُمَا مُحَرَّمَتَانِ عَلَى كِلْتَاهُمَا، كُلَّمَا أَرَدْتُ أَنْ أَدْخُلَ وَاحِدَةً - أَوْ وَاحِدًا - مِنْهُمَا اسْتَقْبَلَنِي مَلَكٌ بِيدِهِ السَّيفُ

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

صَلْتًا، يصُدُّنِي عَنْهَا، وَإِنَّ عَلَى كُلِّ نَقْبٍ مِنْهَا مَلَائِكَةً يحْرُسُونَهَا»، قَالَتْ - فَاطِمَةُ بِنْتُ قَيس -: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ، وَطَعَنَ بِمِخْصَرَتِهِ فِي الْمِنْبَرِ: «هَذِهِ طَيبَةُ، هَذِهِ طَيبَةُ، هَذِهِ طَيبَةُ» - يعْنِي الْمَدِينَةَ - «**أَلَا هَلْ كُنْتُ حَدَّثْتُكُمْ ذَلِكَ؟**» فَقَالَ النَّاسُ: نَعَمْ، قَالَ: «**فَإِنَّهُ أَعْجَبَنِي حَدِيثُ تَمِيم، أَنَّهُ وَافَقَ الَّذِي كُنْتُ أُحَدِّثُكُمْ عَنْهُ، وَعَنِ الْمَدِينَةِ وَمَكَّةَ، أَلَا إِنَّهُ فِي بَحْرِ الشَّام، أَوْ بَحْرِ الْيمَنِ، لَا بَلْ مِنْ قِبَلِ الْمَشْرِقِ مَا هُوَ، مِنْ قِبَلِ الْمَشْرِقِ مَا هُوَ مِنْ قِبَلِ الْمَشْرِقِ، مَا هُوَ**» وَأَوْمَأَ بِيدِهِ إِلَى الْمَشْرِقِ، قَالَتْ: فَحَفِظْتُ هَذَا مِنْ رَسُولِ الله ﷺ».

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قِصَّةُ

جمل جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

عن جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: «خرجت مع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في غزاة، فأبطأ بي جملي، فأتي عليَّ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقال لي: «يا جابر» قلت: نعم. قال: «**ما شأنك**»، قلت: أبطأ بي جملي وأعيا فتخلفت. فنزل فحجنه بمِحجَنِه ثم قال: «**اركب**» فركبت فلقد رأيتني أَكُفّه عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فقال: «أتزوجت؟» فقلت: نعم، فقال: «أَبِكرًا أم ثيبًا؟» فقلت: بل ثيِّب. قال: «**فهلَّا جارية تُلاعبها وتُلاعبك؟**» فقلت: إن لي أخوات، فأحببت أن أتزوج امرأة تَجمعهن، وتُمشطهن، وتقوم عليهن. قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أما إنك قادم، فإذا قدمت فالكَيس الكَيس!**» ثم قال: «**أتبيع جملك؟**» قلت: نعم، فاشتراه مني بأوقية.

ثم قَدِمَ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقدمت بالغداة، فجئت المسجد فوجدته على باب المسجد، فقال: «**الآن حين قَدِمت؟**» قلت: نعم، قال: «**فَدَع جملك، وادخل فصلِّ ركعتين**» قال: فدخلت فصليت، ثم رجعت.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

فأمر بلالًا أن يَزِنَ لي أُوقية. فوزن لي بلال، فأرجح في الميزان. قال فانطلقت. فلما ولَّيت قال: «**ادعُ لي جابرًا**» فدُعيت. فقلت: الآن يرد علىَّ الجمل ولم يكن شيء أبغض إليَّ منه. فقال: «**خُذ جَمَلَك ولك ثمنه**».

هذا ما يسر الله جمعه من قصص الحيوان للأطفال من القرآن والسنة المطهرة،

نفع الله به، وصلَّى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الفهرس

المقدمة ٥
قصة بقرة بني إسرائيل ٧
قصة حمار العزيز ١١
قصة القرود أصحاب السبت ١٨
قصة كبش إسماعيل عَلَيْهِ السَّلَامُ ٣٠
قصة الغنم ٤٤
قصة ناقة صالح عليه السلام ٥١
قصة كلب أصحاب الكهف ٧٥
قصة دابة أصحاب الأخدود ٩٠
قصة فيل أبرهة ١٢١
قصة البقرة والذئب ١٣٩
قصة الذئب ١٤٦
قصة البعير الذي اشتكى للنبي ١٥١
قصة الجساسة ١٥٤
قصة جمل جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ١٥٨
الفهرس ١٦٠

شبكة الألوكة - قسم الكتب

هذا الكتاب منشور في